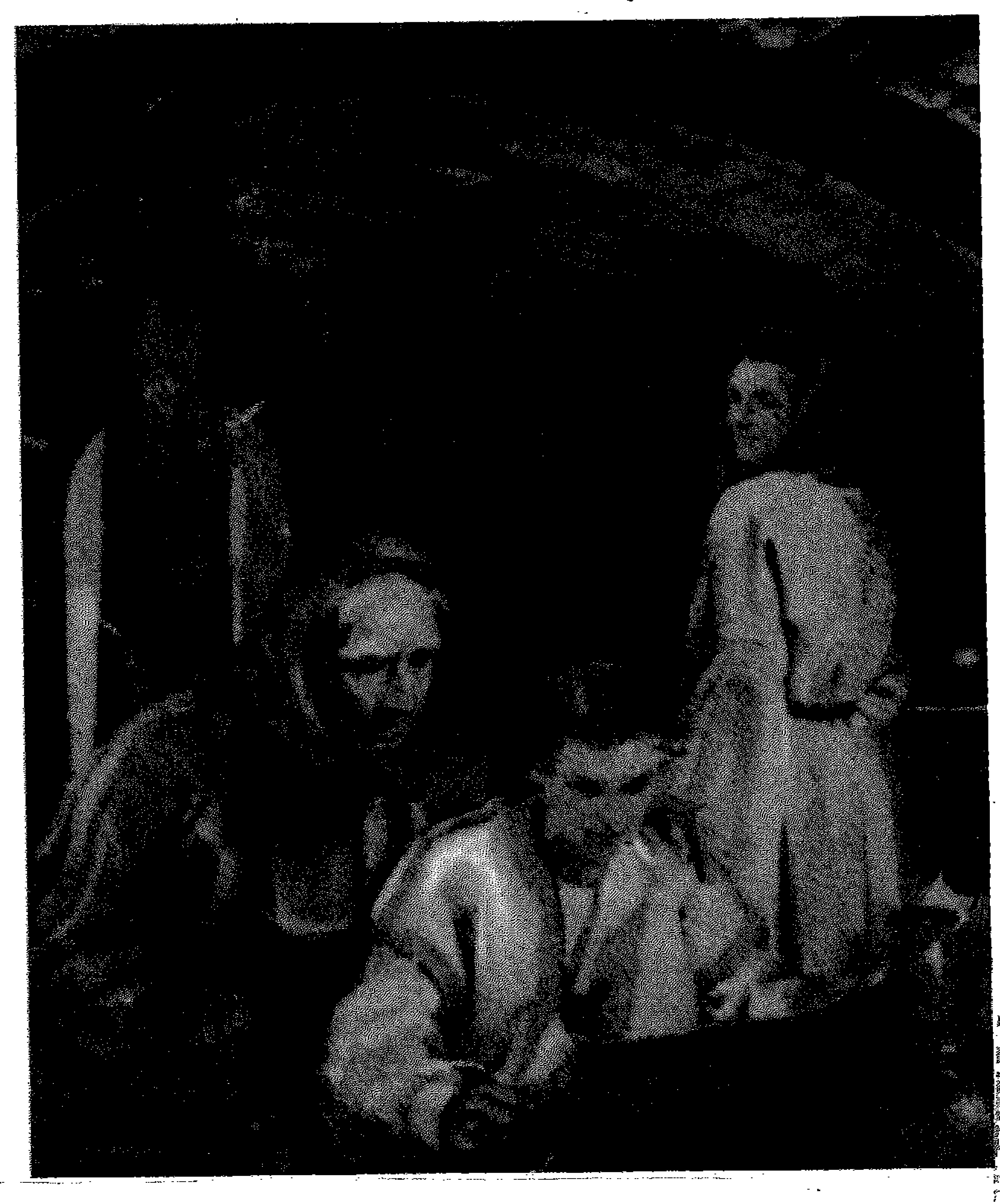
من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

رسالة بولس الرسول الأولى
إلى
تيموثاوس



القمص تادرس يعقوب ملطى

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس

القمص تادرس يعقوب ملطي

المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطى
رقم الايداع بدار الكتب : ٤٠٤٦ / ١٩٨٢



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

الرسـائل الرعوية

كتب القديس بولس مجموعة من الرسائل موجهة إلى بعض من تلاميذه رعاة الكنائس : القديسين تيموثاوس وتيطس وفليمون . وللرسالة إلى فليمون طابعها المستقل ، فهى وإن وُجهت إلى راعٍ لكنها كانت إلى حد ما شخصية ، كشفت عن دور السيد المؤمن نحو عبده ، كما أوضحت مشاعر الأبوة العميقة للرسول بولس نحو عبد سارق هارب آمن بربنا يسوع المسيح ومارس حياة التوبة . أما الرسائل الأخرى الثلاثة ، فتدعى الرسائل الرعوية (١) ، إذ يجد فيها الرعاة مصدراً روحياً خصباً للعمل الرعوى .

أصالتها :

١ - الشهادة الخارجية : فى القرن الثانى ، حوالى عام ١٧٠ م ، ورد فى القانون الموراتورى Muratorian Canon والذى يعتبر أقدم قائمة رسمية لأسفار العهد الجديد الثلاثة عشر رسالة للقديس بولس مستبعداً الرسالة إلى العبرانيين . وفى نفس التاريخ تقريباً أحصى أل Paschito Canon الأربعة عشر رسالة للقديس بولس من بينها الرسائل الرعوية كأسفار قانونية . وجاء فى يوسابيوس أيضاً هذه الرسائل مع بقية رسائل القديس بولس كأسفار قانونية معروفة وأكيدة (٢) .

لم يطرأ أى شك من جهة قانونية هذه الرسائل ونسبتها لمعلمنا بولس الرسول لدى أى أب من آباء الكنيسة فى الشرق أو الغرب . وقد استخدم كثير من الآباء عباراتها فى كتاباتهم ، منهم **القديسين أكليمندس الرومانى (٣) وثاوفيلس الأنطاكى (٤) وايريناؤس (٥) والعلامة ترتليان (٦) والقديس اكليمندس الأسكندرى .** وقد اقتبس الأخير الكثير من الرسالتين الأولى والثانية إلى تيموثاوس مشيراً إلى الهراطقة الذين رفضوهما بسبب تفنيد خطأهم فيهما (٧) ، كما اقتبس من الرسالة إلى تيطس .

٢ - الشهادة الداخلية : وهى ليست بأقل قوة من الشهادة الخارجية . حقاً لقد حاول بعض النقاد ابتداء من القرن التاسع عشر (٨) مهاجمة هذه الرسائل ، رافضين نسبتها للرسول بولس ، وبالتالى يرفضون قانونيتها ، معتمدين فى ذلك على أسس تاريخية وكنسية وعقيدية ولغوية ... ويمكننا تقديم ملخص لأهم نقاط نقدهم فى الآتى :

أولاً : تتركز الإعتراضات من الجانب التاريخى فى أن هذه الرسائل يصعب أن تجد لها موضعاً فى حياة الرسول بولس كما وردت فى سفر أعمال الرسل .

يمكننا الرد على هذا الإعتراض بأنه لا يمكن حصر حياة الرسول بولس وأعماله بما ورد فى سفر الأعمال . فمن جهة ما جاء فى آخر السفر عن سجنه بروما لم يكن هذا الأمر يمثل الفصل الأخير من حياته . فنحن نعلم أنه أُطلق سراحه ليكرز و يبشر حتى سجن للمرة الثانية فى روما أيضاً واستشهد فى عصر نيرون . جاء فى سفر الأعمال أن فيلكس الوالى وفستوس وأغر يباس لم يجدوا فى الرسول بولس علة تستحق الموت أو القيود ، وكان يمكن أن يُطلق سراحه لولم يكن قد رفع دعواه إلى قيصر (أع ٢٦ : ٣١ ، ٣٢) . لهذا عندما أرسل إلى روما لم يُدن بل أطلق سراحه . هذا ما نلمسه من كتابات الرسول نفسه الذى كان يتوقع الإفراج عنه (فى ١ : ٢٥ ، ٢ : ٢٤ ، فل ٢٢) ، وما أعلنه التقليد الكنسى الذى عبّر عنه المؤرخ يوسابيوس (٩) ، ومن ناحية أخرى فإن الكثير من الأتعاب التى لحقت بالرسول كما ذكرها فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (١١ : ٢٤ - ٢٧) ، لم ترد فى سفر الأعمال . وأيضاً جاء فى الوثيقة الموراتور ية فى القرن الثانى عن رحلته إلى أسبانيا ، الأمر الذى لم يتحقق قبل سجنه الأول (١٠) .

بهذا لا يمكن حصر أعمال الرسول بما ورد عنه فى سفر الأعمال ، سواء الأعمال التى قبل سجنه الوارد فى آخر السفر أو بعده ... فقد مارس الرسول عمله الكرازى ، وكتب هذه الرسائل الرعو ية فى أيامه الأخيرة .

ثانياً : من جهة الجانب التعليمى ، يرى بعض النقاد وجود اختلاف فى الفكر بين ما ورد فى هذه الرسائل وما ورد فى رسائله الأخرى . يرى البعض أنها وإن حملت بعض الأفكار البولسية لكنها تعتبر استثناءات . فعوض الإيمان الثالوثى : الإيمان بالآب الفاتح الأحضان الأبو ية و بالإبن الذى فيه نغتنى ونتقدس ونتبرر ونتحد مع أبيه و بالروح القدس الذى يدخل بنا إلى شركة الأمجاد وعمل النعمة المجانية يتحدث عن الحياة التقو ية والأعمال الصالحة . يقول Mcgiffent عن هذه الرسائل : « لا نجد فيها أثراً للحق العظيم الأساسى لإنجيل بولس : الموت عن الجسد والحياة فى الروح » .

يرد على هؤلاء النقاد بأن هذه الرسائل سجلها القديس بولس فى شيخوخته بعدما عالج الأمور العقيدية والتعليمية فى رسائله السابقة والتى انتشرت فى كل الكنائس فى ذلك

الحين ، فلم تكن هناك حاجة للتكرار بعد أن وضحت العقيدة المسيحية . هذا ومن جانب آخر فإن هذه الرسائل لم تسجل للكنيسة كشعب وإنما بعثت للرعاة ، تحمل هدفاً رعوياً وتهتم بالتنظيم الكنسى والسلوك المسيحى . يمكننا القول بأنها رسائل وداعية لتلاميذ خدام يحملهم مسئولية الرعاية والعمل .

ثالثاً : يقول بعض المعترضين بأن الرسول قد ركز فى هذه الرسائل على التنظيم الكنسى ، خاصة سيامة الأساقفة والشمامسة ، وإقامة الأرامل إلخ ... الأمور التى فى نظرهم لا تشغل قلب الرسول الملتهب شوقاً نحو مجىء السيد المسيح الأخير. لقد اعتدنا فى رسائله السابقة أن نراه لا يتحدث عن تفاصيل تنظيمية وإنما يهتم باضرام المواهب الروحية فى حياة كل عضو. يرى هذا الفريق أن التنظيمات الواردة فى هذه الرسائل تمثل عصراً متأخراً عن زمن الرسول بولس .

يرد على ذلك بالآتى :

١ - حقاً لقد اتسمت كتابات الرسول بولس ، بل وكتابات الكنيسة الأولى فى مجملها بالإتجاه الأخروى « الاسخاتولوجى » ، فكان الكل يتطلع بشوق والتهاب نحو مجىء السيد المسيح الأخير، لكن هذا الفكر لا يعنى تجاهل الكنيسة التنظيم الكنسى. على العكس حينما كتب الرسول أول رسالة له موجهة إلى أهل تسالونيكى يتحدث فيها عن مجىء السيد ، فاساءوا فهمها وظنوا أن وقت مجيئه قد حان وتركوا أعمالهم اليومية ، أسرع الرسول إليهم فى الحال يصحح مفاهيمهم و يؤكد لهم ضرورة الإلتزام بالترتيب والنظام مع العمل اليومى (٢ تس ٢ : ٦ - ١٥) ، وطالباً إياهم أن يتجنبوا مخالطة السالكين بلا ترتيب . إن كان هذا بالنسبة للأشخاص فكم بالحرى يلزم أن تسلك الكنيسة بترتيب ونظام فى حياتها الرعوية والتعبدية حتى لحظات انتظار مجىء عريسها ؟!

٢ - عرف الرسول بولس « وحدة الحياة » ، فلا يقبل الثنائيات . فالمسيحى يحيا كمواطن سماوى وفى نفس الوقت كمواطن يعيش على الأرض دون وجود أى تعارض أو صراع بين حياته الروحية السماوية وحياته اليومية الواقعية . المؤمن يؤمن بوحدة الحياة فى المسيح بلا تمزيق بين فكر سماوى وحياة على الأرض ، وبين تقديس للروح والجسد أيضاً . وهكذا الكنيسة أيضاً كجماعة مقدسة لا تعرف إلا حياة واحدة فى المسيح ، فلا تضارب بين التنظيم أو الترتيب الكنسى والحياة الروحية إن كان الرسول ملتهباً بروحه ،

ولم ينشغل بالحديث عن تفاصيل التنظيمات الكنسية فى رسائله الأولى ، هذا لا يعنى تجاهله لها أو استهانته بها . فالروحانية لا تعنى عدم النظام أو التشويش !

أما بخصوص القول أن هذه التنظيمات تمثل عصراً متأخراً ، فهذا ليس بصحيح ، فقد وُجد الشمامسة بعد انطلاق الكنيسة فى عيد العنصرة بفترة قصيرة جداً (أع ٦) . و يقول القديس لوقا أثناء حديثه عن رحلات القديس بولس الكرازية . « وانتخبا لهم قسوساً فى كل كنيسة » (أع ١٤ : ٢٣) . وجاءت فى إحدى رسائل الأسر موجهة إلى الشعب ومعهم الأساقفة والشمامسة (فى ١ : ١) ، وفى رسالته إلى أهل رومية يوصى الرسول بالشماسة فيبى (١٦ : ١) .

رابعاً : يعترض البعض بأن المعلمين المضللين المذكورين فى الرسائل الرعوية يمثلون الغنوسيين ، وهم من رجال القرن الثانى ، أى فى عصر متأخر عن الرسول بولس . والحقيقة أن المعلمين الذين يذكرهم الرسول فى غالبيتهم أناس نادوا بالعودة إلى حرفية أعمال الناموس خاصة الختان الجسدى . هذا من جانب ومن جانب آخر فإن كانت الغنوسية قد انطلقت بزعمائها البارزين فى القرن الثانى ، لكن الفكر الغنوسى سبق المسيحية وتسلل إلى الوثنية كما إلى اليهودية وظهرت بذوره وعلاماته منذ العصر الرسولى .

خامساً : لم ترد هذه الرسائل فى قائمة مرقيون فى القرن الثانى . هذا أمر طبيعى ، لأن هذه القائمة لا تمثل الفكر الكنسى الأرثوذكسى ، فقد حذف مرقيون الأناجيل المقدسة حسب متى ومرقس و يوحنا . لعل مرقيون لم تصله هذه الرسائل ، هذا احتمال ضعيف ، لكن الأرجح أنه قد عرفها ولم يقبلها ، لأنها قدمت مواجهة ضد أفكاره الغنوسية . كمثال تحدثت عن الناموس أنه صالح (١ تى ١ : ٨) بينما يرفض مرقيون العهد القديم بكليته . وتشير هذه الرسائل إلى مقاومة التعاليم المضللة (١ تى ٦ : ٢٠) .

سادساً : من الجانب اللغوى يرى البعض أن ما ورد فى هذه الرسائل ٩٠٢ كلمة يونانية ، منها ما لا يقل عن ٣٠٦ كلمة لم ترد فى رسائله الأخرى . هذا أمر طبيعى ، فإن هذه الرسائل حملت هدفاً يختلف تماماً عن هدف الرسائل الأخرى . ففى رسائله الأخرى يكتب إلى كنائس ليعالج مواضيع عقيدية ومشاكل خاصة بالانقسامات الكنسية ، أما هنا فيكتب إلى الرعاة ليحدثهم عن عملهم الرعوى والتنظيمات الكنسية ، لذا كان لابد أن يكون لها طابعها الخاص وتعبيراتها الخاصة ، وكلماتها المختلفة . فلا يمكن أن نعلل

الاختلاف اللغوى إلى اختلاف الكاتب وإنما إلى اختلاف الموضوع . ومع هذا فإن هذه الرسائل ضمت ٥٠ كلمة يونانية وردت فى الرسائل الأخرى دون أن تظهر فى أى سفر آخر فى العهد الجديد .

أخيراً يمكننا القول مع N. J. White أن حتى هذه الرسائل تحمل طابعاً بولسياً (١١) ، إنها تحمل نغمة الرسول وجديته ووقاره مع قوة روحه ، تتنسم بروح الحب المتقد والتقوى مع شجاعة عالية وقداسة . هذا وقد تشابهت أيضاً مع بقية رسائله فى إطارها العام ، كأن تحوى : افتتاحية والبركة الرسولية ثم صلب الموضوع فالخاتمة . وتحمل إتجاهه العام فى مقاومته للإرتداد إلى حرفية أعمال الناموس .

تاريخ كتابتها :

يرى أغلب الدارسين أن هذه الرسائل قد وضعت فى فترة وجيزة ، فى أواخر حياة الرسول . والمرجح أن رسالته إلى تيطس ورسالته الأولى إلى تيموثاوس قد كتبتا فى وقت متقارب جداً ، لذا جاءتا متشابهتين حتى فى العبارات . كتبتا فى جولاته التبشيرية بعد سجنه الأول عام ٦٣ م . أما الرسالة الثانية إلى تيموثاوس فكتبها فى سجنه الأخير بروما قبل استشهاده مباشرة .

محتوياتها وطابعها :

١ - هذه الرسائل فى الواقع ليست رسائل خاصة ولا شخصية ، وإنما هى أقرب إلى مقالات تضع الأسس العامة للعمل الإنجيلى ، خلالها نشتم ملامح الكنيسة الأولى .

٢ - إتسمت بالطابع العملى ، خاصة من ناحية الرعاية فى العصر الرسولى ، دون التعرض للمشاكل العقيدية الإيمانية .

٣ - تتقارب الرسالة الأولى إلى تيموثاوس جداً مع الرسالة إلى تيطس ، إذ هما موجهتان إلى راعيين (أسقفين) ملتزمين بخدمة جديدة فى أفسس وكريت . أما الرسالة الثانية إلى تيموثاوس فغايتها مختلفة ، وهى مساندة الكنيسة تحت ضغط إضطهاد نيرون وسجن بولس الرسول فى روما ينتظر إنحلال جسده .

٤ - إنفردت هذه الرسائل عن بقية أسفار العهد الجديد بعرضها للتنظيمات الكنسية فى العصر الرسولى .

٥ - توجه هذه الرسائل إلى كل راعٍ بكونه « جندى روحى للسيد المسيح » ، يجاهد قانونياً فى الحفاظ على الإيمان المسلم مرة للقديسين بغير انحراف ، نقياً من البدع والهرطقات كما وجهت نظره إلى الإهتمام بالعمل الإيجابى وعدم الإرتباك بالمباحثات الغبية .

الهرطقات المعاصرة :

لكى نفهم هذه الرسائل يلزمنا التعرف على الخطوط العريضة للهرطقات المعاصرة للرسول ، والتى إلتزم قادة الكنيسة الروحيين بمقاومتها . هذه الهرطقات أخذت اتجاهين :

أولاً : العودة إلى الفكر الناموسى الحرفى ، أو ما يسمى بحركة التهود ، إذ لم يكن من السهل على المسيحيين من أصل يهودى أن يتنازلوا عما كان لهم من امتيازات مثل الختان والليتورجيات التعبدية والاعتزاز بأنسابهم خاصة من كانوا من سبط لاوى أو يهوذا إلخ ... بجانب اعتزازهم بالناموس الموسوى والأنبياء .

ثانياً : ظهرت البذور الأولى لأنواع مختلفة من الغنوسية ، هى فى حقيقتها ملتقى هائل لعناصر يهودية ومسيحية و يونانية وفلسفات صوفية وشرقية (١٢) ، أهم ما تميزت به هو:

١ - الثنائية بين المادة والروح . فخالق المادة أو الجسد فى نظرهم إنما هو خالق لعنصر الظلمة ، إن لم يكن شريراً فهو أقل من الكائن الأعظم أو خالق الروح . خلال هذه الثنائية لا يمكن أن يلتقى الجسد مع الروح ، كما لا تلتقى الظلمة بالنور لهذا فى نظر بعضهم أن المسيح لا يمكن أن يكون قد قبل جسداً مادياً حقيقياً ، وإنما عبر فى العذراء مريم كما فى قناة لم يأخذ منها شيئاً ، إنما ظهر بجسد خيالى ، وفى نظر البعض جسد غير جسدنا هابط من السماء ليس فيه مادة . خلال هذه النظرة ينكرون حقيقة التجسد الإلهى ، و يدنسون الزواج و ينظرون إلى الزوجية كعلاقات أثيمة ، لهذا لا يتزوج الكاملون ، ليس تفرغاً للعبادة أو الخدمة ولا تكريساً لحياتهم وإنما هرباً من النجاسة ! خلال هذا المنظار يرون فى القيامة أنها تحققت فى الروح ، بقيامتها من موتها ، دون انتظار لقيامة الجسد حيث لا يقوم فى الملكوت عنصر ظلمة . و باختصار لا يبلغ الإنسان إلى الكمال إلا بمعاداته الجسد وامتناعه عن الزواج و بعض الأطعمة .

هذه النظرة ترفضها المسيحية ، فإن النسك المسيحى فيه تنازل للإنسان عن بعض حقوقه ليس لأن ما يتنازل عنه دنساً ، ولا كبرياء يحسب نفسه أكمل من إخوته ، وإنما

فى حب يود التفرغ للعبادة والخدمة ، كما تنازل الرسول بولس عن حقه فى أن يجول بأخت زوجة كالقديس بطرس (١ كو٩ : ٥) ، وتنازله عن حقه فى أن يتمتع بالضرور يات الجسدية خلال عمله الإنجيلى (١ كو٩ : ١٢) ، ومطالبته أن يمتنع الإنسان عن أكل اللحم تماماً إن كان يعثر أخانا (١ كو٨ : ١٣) .

٢ - نادت بعض الطوائف الغنوسية بوجود أنساب ، عبارة عن سلم يبدأ بالكائن الأعظم و ينزل خلال وسائط كثيرة أو أيونات تنتهى بالسيد المسيح . وكأن يسوع المسيح هو الوسيط الأول للإنسان يدخل به خلال المعرفة إلى أيون أعظم ، والثانى يقدم له معرفة جديدة ليدخل به إلى من هو أعظم حتى يبلغ فى النهاية إلى الكائن الأعظم . لهذا يؤكد الرسول بولس وجود وسيط واحد هو ربنا يسوع المسيح الذى هو إبن الإنسان (١ تى ٢ : ٥).

يرى الغنوسيون بوجه عام أن الدخول إلى الشركة مع الله ليس طريقها الإيمان وإنما المعرفة العقلية التى تخص الكاملين . وكأن الخلاص لا يقوم على أساس إيمانى بل على أساس المعرفة (gnosis) ولهذا لقبوا أنفسهم « الغنوسيين » أو أصحاب المعرفة .

٣ - إذ تقوم الغنوسية أساساً على غرور المعرفة ، قسم الغنوسيون المؤمنين إلى فئات ، منها فئة الكاملين أصحاب المعرفة ، وفئة البسطاء . لذلك بذل الرسول كل الجهد فى رسائله بوجه عام تأكيده أن المسيح هو « كنز الحكمة » المقدم للجميع بلا تمييز ، وأن الخلاص للكل .

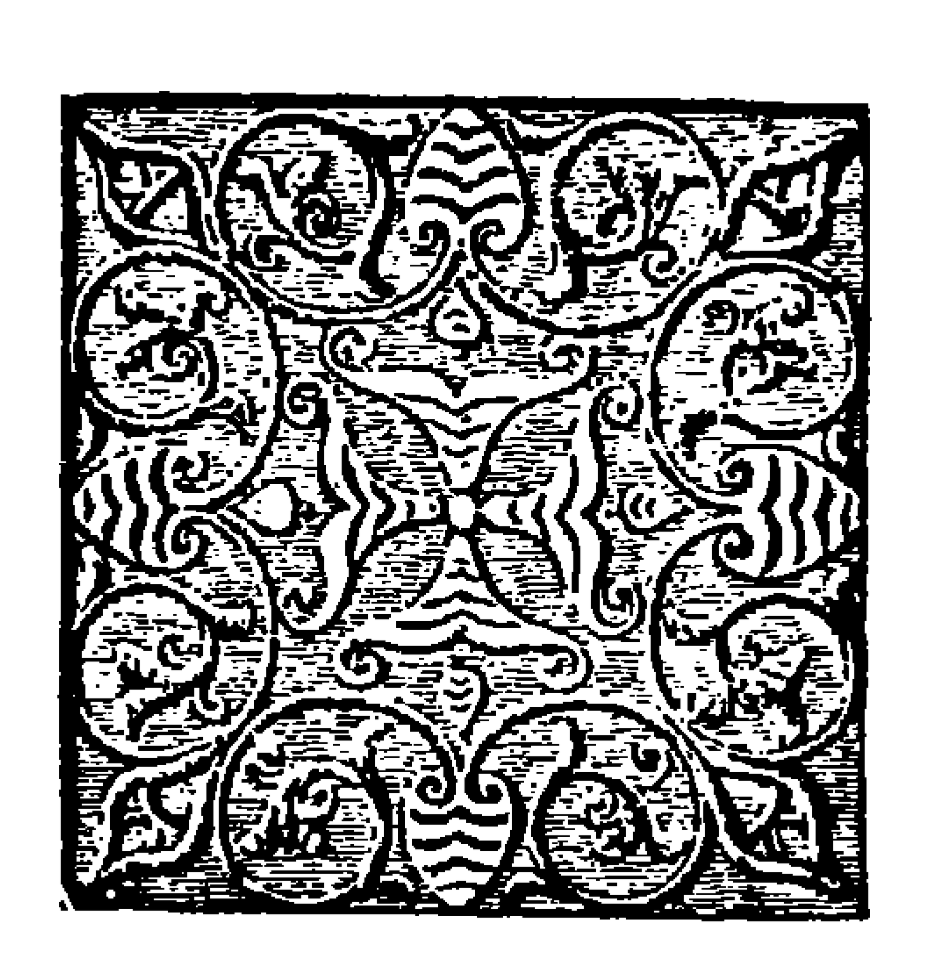
٤ - إذ عُرف الغنوسيون بالحرفية فى تفسير الكتاب المقدس لذلك تعثروا فى فهمهم بعض عبارات العهد القديم الخاصة بغضب الله وندمه والحديث عن وجه الله و يده وشبره إلخ ... مما دفعهم إلى رفض العهد القديم . ورأى بعضهم أن إله العهد القديم إنما هو إله قاسى ، فأرسل إله العهد الجديد يسوع المسيح ليخلص العالم من هذا الإله ... وهكذا دخلوا فى ثنائية بين إله العهد القديم وإله العهد الجديد ... هذا ما دفع الرسول بولس إلى تأكيد وحدة العمل بين الآب والإبن ، وتأكيد طاعة الإبن للآب ، وقبوله القيامة من المجد ... تأكيداً لعلاقة الحب الأزلية .

٥ - إذ أخذ غالبيتهم موقفاً معادياً للجسد رفضوا وجود تمييز بين الرجل والمرأة ،

لذلك أوضح الرسول أنه « ليس ذكر ولا أنثى فى المسيح يسوع » ، لكن يبقى الرجل رجلاً يعمل خلال مواهبه كرجل ، والمرأة إمرأة تعمل خلال مواهبها كامرأة . الإيمان لا يحتقر جنساً لكنه لا يخلط بين الجنسين . لهذا جاءت الوصايا واضحة لوجود التمايز بين الجنسين على أساس تنوع المواهب والامكانيات وليس على أساس امتياز جنس على حساب الآخر .

هذه صورة مبسطة نعود إلى تفاصيلها أثناء دراستنا لنص الرسائل إن شاء الرب وعشنا .

* * *



مقدمة في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس

تيموثاوس :

« تيموثاوس » كلمة يونانية تعنى « تقى الله » أو « تكريم الله » (١٣) آمن على يدى الرسول بولس فى رحلته التبشيرية الأولى فى لستره من كوره ليكاؤنية حوالى عام ٤٦ م . كان والده يونانياً لا يُعرف إسمه ، ربما مات وهو صغير السن ، وقام بتربيته أمه أفنيكى وجدته لوئيسى وهما يهوديتان تقيتان ، علمتاه الكتب المقدسة (٢ تى ١ : ٥ ، ٣ : ١٥) ، لكنهما لم يختناه ، إنما ختنه الرسول بولس فيما بعد حتى لا يغضب عليه اليهود (أع ١٦ : ٢) .

فى رحلته التبشيرية الثانية رأى فيه الرسول بولس الإيمان والغيرة الروحية (١ تى ١ : ١٨) ، وقد اشتهر بين الإخوة بالتقوى (أع ١٦ : ٢) فاتخذه رفيقاً له فى أسفاره ، وصحبه إلى غلاطية ثم إلى ترواس وفيلبى وإلى تسالونيكى . وبقى فى بيريه مع سيلا حين اعتزم الرسول مغادرتها فجأة (أع ١٧ : ١٤) ... ثم عاد فلحق بالرسول بولس فى مكدونية وكورنثوس ، ويبدو أنه بقى معه أثناء كرازته فى كورنثوس ثم أرسله إلى مكدونية مع أرسطوس قبل رحلته الثالثة (أع ١٩ : ٢٢) .

إرتبط إسم تيموثاوس مع الرسول بولس فى مقدمات الرسائل (٢ كو ١ : ١ ، فى ١ : ١ ، كو ١ : ١ ، ١تس١ : ٢ ، ٢تس١ : ١ وفل ١) وفى السلام الختامى فى الرسالة إلى رومية (١٦ : ٢١) .

لقد أرسل إلى كورنثوس بواسطة الرسول بولس فى الإضطرابات التى حدثت قبل كتابة الرسالة الأولى إليهم (١ كو ٤ : ١٧) ، وأرسل أيضاً بعد كتابتها (١ كو١٦ : ١٠) . لقد أشار الرسول إلى مساهمة القديس تيموثاوس فى خدمة الإنجيل معه فى كورنثوس (٢ كو ١ : ١٩) .

دُبرت أيضاً ارسالية للقديس تيموثاوس إلى فيلبى عند كتابة الرسالة إلى فيلبى (فى ٢ :

١٩) ، وأرسل إلى تسالونيكى لتقديم تقرير قبل كتابة الرسالة الأولى إلى تسالونيكى (١ تس ٣ : ٢ ، ٦) .

فى الرسالة إلى العبرانيين (١٣ : ٢٣) يشير الرسول إلى سجن تيموثاوس والإفراج عنه .

يبدو أنه بعد اطلاق سراح الرسول من سجنه الأول عام ٦٣ م ، ترك القديس تيموثاوس يرعى شئون أفسس ...

من هذا كله يظهر مدى ارتباط القديس بولس بتلميذه تيموثاوس وثقته الشديدة فيه . لذا كثيراً ما يدعوه « إبنى ، الإبن الصريح ، الإبن الحبيب ، الأمين » (١ تى ١ : ١٨ ، ١ : ٢ ، ١ كو ٤ : ١٧ ، ٢ تى ١ : ٢) . و يبدو من العبارات الواردة فى الرسالتين الموجهتين إليه أن تيموثاوس كان خجولاً بطبعه (١٤) ، كما كان يعانى من ضعف فى صحته .

زمان كتابتها :

حوالى عام ٦٤ أو ٦٥ م بعدما أطلق سراح الرسول من سجنه الأول فى ربيع عام ٦٣ م . كتبها وهو فى طريقه ماراً بمكدونية بعد زيارته لأفسس (١ تى ١ : ٣) .

غاية الرسالة :

أرسل إليه ليوضح له التزاماته الرعوية فى أفسس ، ويحدثه عن بعض التنظيمات الكنسية الخاصة بالعبادة العامة ، وعن سمات الرعاة وواجباتهم خاصة جهادهم ضد الهرطقات المضللة ، وأخيراً العلاقات الرعوية التى تربط الراعى بكل فئات الشعب .

أقسام الرسالة :

الأصحاح الأول :

الوصية غاية الرعاية

يبدأ الرسول بالبركة الرسولية كعادته ، موضحاً للقديس تيموثاوس خطورة عمله الرعوى فى أفسس ألا وهو تقديم الوصية الإلهية ، وتحذير المؤمنين من أصحاب الخرافات والمباحثات التى ليست للبنيان ، معلناً له عن غاية رسالته خلال حديثه عن نفسه ، حاثاً إياه على الجهاد الروحى فى الخدمة الإلهية .

١ - البركة الرسولية	١ - ٢ .
٢ - غاية الوصية	٣ - ١١ .
٣ - الإلتزام بالخدمة	١٢ - ١٧ .
٤ - الجهاد فى الخدمة	١٨ - ٢٠ .

* * *

١ - البركة الرسولية :

« بولس رسول يسوع المسيح بحسب أمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح رجائنا ، إلى تيموثاوس الإبن الصريح فى الإيمان ، نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا » ع ١ ، ٢ .

فى هذه الافتتاحية يقدم الرسول البركة الرسولية لتلميذه تيموثاوس بما يناسب احتياجاته والظروف المحيطة به ، إذ يُلاحظ فيها الآتى :

١ - إذ يكتب إلى خادم ملتزم بالكرازة وسط أتعاب وضيقات أراد الرسول تأكيد أن الخدمة التى يتسلمها ليست من إنسان بل من الله الآب الذى قدم إبنه الوحيد لخلاص البشرية ، ومن الإبن نفسه أيضاً ، إذ يقول : « بولس رسول يسوع المسيح بحسب أمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح » . وكما يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** : « من البداية يرفع بولس نفس تيموثاوس و يشجعها بقوله أن الله مخلصنا والمسيح رجاؤنا . إننا نتألم كثيراً ، لكن رجاؤنا عظيم ! إننا نتعرض لفخاخ ومخاطر لكن الذى يخلصنا هو الله لا إنسان .

مخلصنا ليس بضعيف، إذ هو الله، فلا تهزمنا المخاطر إياً كانت، ورجاؤنا لن يخيب إذ هو المسيح ([15]) ».

إننا كخدام مرسلين من قبل الله الآب الباذل إبنه عن البشرية والإبن المبذول عنا لخلاصنا يليق بنا أن نقدم حياتنا نحن أيضاً مبذولة بالحب من أجل كل نفس.

في وسط الآلام يرى القديس نفسه « رسولاً » أي مبعوثاً أو سفيراً عن الله لا عمل له سوى الشهادة له بحياته كما بكرازته، وقد قبل هذا العمل « بأمر الله ». وقد جاءت كلمة « أمر » في اليونانية لتعني الأمر الملوكي العسكري الذي لا رجعة فيه، فيلتزم بالعمل لتتميم هذا الأمر الإلهي. لقد صدر الأمر حينما أفرزه الله وهو في بطن أمه (غل ١ : ٥)، كما أكده بأمر كنسي حين قال الروح « افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه » (أع ١٣ : ٢)، حيث صامت الكنيسة وصلت ووضع التلاميذ الأيدي عليهما.

ب – في هذه الافتتاحية يبرز الرسول دور الآب كمدبر للخلاص ومُرسل الرسل وواهب النعم والرحمة والسلام حتى يؤكد وحدة العمل بين الآب والإبن، وكما يقول **القديس أمبروسيوس** : « أنظر كيف أن مملكة وأمر الآب والإبن هما واحد ([16]) ». بهذا يهدم الرسول ثنائية الغنوسيين الذين يفرقون بين إله العهد القديم، وإله العهد الجديد. فإن كان الرسول بولس يعشق إسم ربنا يسوع المسيح، حتى أنه يكرره ثلاث مرات في هذه الافتتاحية القصيرة، لكنه يعرف ربنا يسوع بكونه الإبن الذي قدمه الآب في محبته لخلاصنا، وخلاله ننعم بكل عطايا الآب ونعمه.

ج – إذ يتحدث عن الآب والإبن لا يتحدث عن علاقتهما معاً خارجاً عنا، إنما نعرفهما خلال عملهما معاً من أجلنا ولحسابنا، فيدعو الآب أبانا ومخلصنا والمسيح ربنا ورجاءنا... وكأن الرسول لا يريد أن يقدم لنا معرفة لاهوتية نظرية تقوم على الحكمة البشرية العقلية وإنما يريدنا أن نتعرف عليها كسر حياتنا وخلاصنا وكمالنا.

د – يكرر الرسول في رسائله الرعوية كلمة « مخلصنا » أكثر من غيرها من الرسائل، ليؤكد للراعي أن عمله الرئيسي هو توجيه الرعية إلى مخلصها، وليوضح ضرورة اهتمام الراعي بالعمل الخلاصي فوق كل عمل آخر.

هـ – يدعو القديس تيموثاوس « الإبن الصريح في الإيمان »، وقد جاءت كلمة « صريح » في اليونانية gensios بمعنى الإبن الأصيل أو الحقيقي غير الزائف

أو الشرعى . فقد ولده الرسول بعد أن تمخض به خلال أتعاب الكرازة بالإنجيل (١ كو ٤ : ١٤ - ١٦ ، فى ١٠) ، الإبن الروحى الذى يعتز به . يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذا التعبير بالقول « لا يوجد بينهما اختلاف ، فقد حمل تيموثاوس شبهاً له فى الإيمان ، وذلك كما يحدث فى المواليد حيث يوجد شبه فى كيان (الوالد والمولود منه) (١٧) » .

يعتز الرسول بولس بأبوته الروحية لشعب الله ، إذ يقول : « لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح لكن ليس آباء كثيرون ، لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل » (١ كو ٤ : ١٥) . هذه الأبوة ليست شرفية ، لكنها ملزمة بالمسئولية . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** لأولاده الروحيين : « إنى أحبكم حتى أذوب فيكم ، وتكونون لى كل شىء : أبى وأمى وإخوتى وأولادى ! (١٨) » .

إن كان الرسول هو أب للقديس تيموثاوس فإن هذه الأبوة الروحية تنبع عن أبوة الله للبشرية كلها ، لذا يدعو الله « أبانا » خلال هذه الأبوة يستريح بحق تيموثاوس كما بولس أيضاً ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « هنا توجد تعزية ، فإن كان الله أبانا (ع ٢) فهو يهتم بنا كأبناء ، وكما يقول المسيح : «أم أى إنسان منكم إذا سأله إبنه خبزاً يعطيه حجراً ؟! (مت ٧ : ٩) (١٩) » .

و - فى رسائله غير الرعوية غالباً ما يكتفى الرسول فى البركة الرسولية ، أما هنا فيضيف « الرحمة » ، وبالعبرية (chcsedh) ، وقد تكررت ما لا يقل عن ١٢٧ مرة فى سفر المزامير كموضوع تسبيح الشعب . لقد قدم الله لنا مراحمه ونحن بعد أعداء ، فانتشلنا من حالة العداوة إلى البنوة له ، ومن الظلمة إلى النور... لذا يليق بنا أن نرد رحمته بالرحمة نحو الآخرين ، و يسلك الخدام بروح سيدهم ! و يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن المعلمين محتاجون إدراك مراحم الله وسط الخدمة بسبب الأتعاب التى يعانون منها . هذا وقد سلك الرسول نفسه بالرحمة أيضاً مع تلميذه تيموثاوس ، فنراه يشفق عليه ، قائلاً : « لا تكن فى ما بعد شَراب ماء بل إستعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة » (١ تى ٥ : ٢٣) .

ز - يُلقب السيد المسيح « رجاؤنا » ، هكذا كانت الكنيسة الأولى تتمسك بهذا اللقب ، ليس لأننا نترجى أن ننال شيئاً فيه وإنما أنه نناله هو . ليس فقط باب الرجاء

لكنه موضوع الرجاء نفسه ، ففيه ننلناه كسّر حياتنا وخلاصنا وأبديتنا !

يقول **القديس أغناطيوس الأنطاكي** : « افرحوا في الله الآب وفي المسيح يسوع رجائنا المشترك (٢٠) » . و يقول **القديس بوليكربس** : « فلنثبت إذاً في رجائنا وفي ضامن برنا ... يسوع المسيح » . ففيه رجاؤنا ، حيث ننعم بالطبيعة الجديدة في استحقاقات دمه ، بدفننا معه في المعمودية ، وفيه ننعم بالنصرة على الموت وندخل الحياة الأبدية ، وفيه ندخل إلى حضن أبيه السماوى لنوجد معه ممجدين .

٢ - غاية الوصية :

أوضح الرسول إلتزام القديس تيموثاوس بتوجيه المؤمنين في أفسس أن يتجنبوا التعاليم الغريبة والمباحثات الغبية التي ليست للبنيان الروحى ، قائلاً له : « **كما طلبت إليك أن تمكث في أفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية لكى توصى قوماً أن لا يعلموا تعليماً آخر ، ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها تسبب مباحثات دون بنيان الله الذى في الإيمان » ع ٣ ، ٤ .**

جاءت كلمة « طلبت » في اليونانية بمعنى يطلب أو يتوسل باشتياق ، وكأن الرسول لا يميل إلى إصدار أوامر إنما يقدم توسلات لتلميذه ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « لاحظ لطف التعبير ، إنه يستخدم أسلوب العبد لا السيد (٢١) » .

يطالبه أن يوصى قوماً بأفسس ألا يعلموا « تعليماً آخر » ، وفي اليونانية « تعليماً غير أرثوذكسي (٢٢) » ، أى « غير مستقيم » ، قاصداً الذين يفسرون كلمة الحق بانحراف . و يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** هكذا : « إنه لم يذكر أشخاصاً بأسمائهم حتى لا يدخل بهم إلى خزى أكثر خلال التوبيخ المباشر المكشوف . لقد وجد الرسول في المدينة بعضاً من رسل اليهود البطالين الذين أرادوا أن يلزموا المؤمنين بحفظ الناموس الموسوى ، الأمر الذى كان الرسول يعالجه في رسائله الأخرى . هؤلاء كانوا يعملون لا بدافع من ضمائرهم بقدر ما كان دافعهم المجد الباطل ، إذ أرادوا أن يكون لهم تلاميذ ، وكانوا يحسدون بولس الطوباوى و يقاومونه (٢٣) » .

ما هى الخرافات التي يطالبهم الرسول بعدم الاصغاء إليها ؟ ربما قصد ما كتبه للقديس تيطس : « لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق » (تى ١ :

١٤) . هذا بالنسبة للذين هم من أصل يهودى ، أما بالنسبة للذين هم من أصل أممى ، فيحذرهم من الأساطير الخرافية التى اتسمت بها الثقافات اليونانية والرومانية والفارسية إلخ ... حيث تروى قصصاً عن نزول بعض الآلهة إلى هذا العالم لتتزوج من بنات الناس و ينشئوا بذلك فرعاً يمتد أصله إلى السماء .

وما هى الأنساب ؟

أولا : ربما قصد بها الأنساب اليهودية ، فكان البعض ممن قبلوا الإيمان المسيحى يعتزون بأنهم من أصل كهنوتى أو من سبط يهوذا إلخ ... فيسقطون فى المجد الباطل .

ثانياً : كان فى العالم الأممى القديم اهتمام خاص بالأنساب ، نذكر على سبيل المثال اسكندر الأكبر، صُنعت له شجرة نسب تعود بأصله إلى آشيل Achilles - واندروماك Andromache من جانب وإلى برسس Perseus وهرقل Herclues من جانب آخر. و يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** إن اليونان كانوا يعددون آلهتهم خلال أنساب معينة .

ثالثاً : يرى **القديس إيريناوس** (٢٤) **والعلامة ترتليان** (٢٥) أن الأنساب هنا تشير إلى بذار الهرطقات الغنوسية التى اعتقد بعضهم أن الكائن الأعظم قد انبثق عنه كائن ، وهذا انبثق عنه ثالث وهكذا حدثت عدة انبثاقات تسمى بالأيونات ، هذه التى ضعفت من نسب إلى آخر... وإن الإنسان إنما يبلغ إلى الكائن الأعظم خلال هذه الوسائط بواسطة المعرفة (gnosis) (٢٦) .

أما قول الرسول عن هذه الأمور أنه « لا حد لها » إنما قصد أنها بلا نهاية أو بلا غاية أو هدف يبلغه الإنسان خلالها .

والآن ماذا يعنى الرسول بقوله : « **مباحثات دون بنيان الله الذى فى الإيمان** ؟ هل يرفض الرسول البحث والمناقشة فى الأمور الإيمانية ؟

لقد اهتم الغنوسيونْ بالمعرفة ليست النابعة عن حب الحق والمتسمة بروح متضع تقوى ، وإنما « المعرفة » المتعجرفة التى تهتم بالمباحثات الجافة العقيمة التى بلا حياة ، يهدفون إلى المجادلات لأجل ذاتها ، بعيداً عن الحياة التقوية . فاحتلت المعرفة عوض الإيمان كطريق الخلاص . هذه هى « المباحثات دون بنيان الله الذى فى الإيمان» ، أما المباحثات التى

للبنيان فهي التي تدخل تحت دائرة الإيمان ، تصدر عن نفس متضعة تطلب الحق لا للجدال والمناقشة وإنما لتحياه وتمارسه .

يقول القديس إيريناوس عن هؤلاء المعلمين : « إنهم يفسدون تعاليم الله ، و يثبتون أنفسهم كمفسرين أشرار لكلمة الإعلان الصالحة . يحطمون إيمان الكثيرين بانتزاعهم عن الإيمان تحت ستار المعرفة ... يخدعون البسطاء بالكلمات المنمقة والشكل الحسن ، محطمين إياهم بسماجة (٢٦) » . و يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن المباحثات الغبية ، قائلاً : « يلزمنا ألا ننشغل بالمباحثات ، لأننا إذ نسأل لا يكون للإيمان موضع ، إذ الإيمان يعطي للمباحثات هدوءاً . لكن لماذا يقول السيد : « اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يُفتح لكم » (مت ٧ : ٧) ؟ وأيضاً : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية » (يو ٥ : ٣٩) ؟ الطلب يعني الصلاة والرغبة الشديدة . فهو يأمر بتفتيش الكتب لا للدخول في أتعاب المباحثات وإنما لإنهائها ، بالتأكد من معناها الحقيقي ، فلا نبقى بعد في مباحثات مستمرة وإنما نقطع فيها (٢٧) » .

ما نريد تأكيده أن الإيمان يرفض المباحثات الغبية ، لكنه يلتقي مع المباحثات البناءة التي تقوم بروح الإخلاص والشوق الحقيقي لمعرفة الحق والتمتع به تحت قيادة روح الله القدوس . وقد قامت مدرسة الاسكندرية المسيحية منذ بدء انطلاقها تصالح الإيمان مع الفلسفة ، وتزّوج القلب مع الفكر (٢٨) .

يعالج القديس بولس حب الدخول في المباحثات الغبية التي يثيرها المراطقة بقصد الكبرياء والتمتع بالسلطة ، بتحديد هدف الرعاية ألا وهو تقديم الوصية الإنجيلية بروح الحب الخالص العملي ، إذ يقول : « **وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء** » (ع ٥) . خارج الحب تفقد الوصية وجودها و ينحرف المعلمون عن رسالتهم ، فتتحول إلى مباحثات غبية تسبب انشقاقات في الجماعة . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « إذ لا يحب الناس يحسدون من لهم صيت حسن ، مشتاقين أن ينالوا السلطة ، ومحبهم للسلطة يقدمون المرطقات (٢٩) » .

« المحبة » هي غاية الوصية التي يكرز بها الرسل وكل خدام الكلمة ، هذه التي تشبع القلب وتحدد هدف الإنسان فلا يرتبك بالمناقشات الباطلة ولا يعطي لنفسه سماحاً أن تهتم بالمباحثات غير البناءة . يحدد الرسول سمات هذه المحبة بأنها تصدر عن « قلب طاهر

وضمير صالح وإيمان بلا رياء » . يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « لكن أي نوع من المحبة يتحدث عنها الرسول ؟ المحبة المخلصة التي لا تقوم على كلمات مجردة إنما تنبع عن الميل الداخلي والوجدان والعاطفة ، إذ يقول : من قلب طاهر... فالحياة الشريرة تجلب انقسامات ، « لأن كل من يعمل السيآت يبغض النور» (يو ٣ : ٢٠) . حقاً توجد صداقات حتى بين الأشرار ، فالقتلة واللصوص يحبون بعضهم البعض ، لكن ليس من ضمير صالح ولا من قلب طاهر ، إنما قلب دنس ، وليس من إيمان بلا رياء وإنما من إيمان باطل مراءٍ... فإن الإيمان يشير إلى الحق ... ومن يؤمن بالله حقاً لا يقدر أن يبتعد عنه (٣٠) » .

لقد أحبت امرأة فوطيفار الشاب يوسف لكن بقلب غير طاهر ، فلم تنفذ الوصية ، إذ كانت تحب شهوات نفسها ... وإذ حرمها يوسف ألقت به في السجن . وأحب أمنون أخته ثامار جداً حتى مرض ، وعندما لم تشبع شهواته أبغضها جداً وجعلها في عار... لذا يصر الرسول أن تكون المحبة « من قلب طاهر » ، تنبع عن قلب تقدّس بسكنى الله القدوس فيه ، وضمير صالح أي نية أو إرادة صالحة فلا يداهن ولا يعمل بخبث ، وإيمان بلا رياء ... أي تنبع محبته للأخوة خلال إيمانه بالله وحبه له . وكما يقول **القديس أغسطينوس** : « لا يوجد حب حقيقي به نحب الآخرين ما لم نحب الله . كل إنسان يحب قريبه كنفسه إن كان محباً لله ، لكنه إن لم يحب الله فلا يحب نفسه (٣١) » . في اختصار نقول أنه بالحب الحقيقي لله خلال إيماننا به وسكناه فينا يحب كل منا نفسه في الرب ، كهيكل مقدس له ، عندئذ يقدر أن يحب أخاه كنفسه ! هذا هو الحب القادر أن يشبع القلب والفكر وكل الأحاسيس فلا يجد الإنسان مجالاً للمباحثات الفارغة !

يكمل الرسول : « **الأمور التي إذ زاغ قوم عنها إنحرفوا إلى كلام باطل** » ع ٦ . حقاً إذا زاغ إنسان عن الحب الإلهي الصادق تتحول حياته الداخلية إلى فراغ بلا شبع ، فيتحول عن الحق إلى الكلام الباطل والمباحثات التي بلا هدف لعلها تغطي العجز الداخلي . يتحول الإنسان عن الحياة التقوية والشهادة العملية إلى شهوة التعليم وبلوغ السلطة بلا فهم ولا حكمة ، لهذا يكمل الرسول : « **يريدون أن يكونوا معلمي الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا يقررونه** » ع ٧ . و يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على هذا النص ، قائلاً : « نجد هنا سبباً آخر للشر وهو شهوة السلطة » ، لذلك يقول المسيح : « أما أنتم فلا تدعوا سيدى Rabbi » (مت ٢٣ : ٨) ، كما يقول

الرسول : « لا يحفظون الناموس إنما لكى يفتخروا فى جسدكم » (غلا ٦ : ١٣) ، أى أنهم يطلبون الكرامة دون أن يهتموا بالحق . « **وهم لا يفهمون ما يقولون ولا يقررونه** » (ع ٧) . إنه يوبخهم إذ لا يعرفون غاية الناموس ولا الفترة اللازمة لنوال السلطان . لكن إن كان هذا عن عدم فهم ، فلماذا تُحسب عليهم خطية ؟ لأن ما يحدث لا ينبع عن اشتياق فيهم أن يكونوا معلمين للناموس وإنما عن عدم إيجاد الحب . جهلهم ذاته نابع عن ذات السبب ، فالنفس التى تتدنس بالأمور الجسدانية تنطمس فيها نقاوة الرؤية ، و بسقوطها عن الحب تسقط فى كثرة الخصام وتصاب عينى ذهنها بالعمى... ولا تقدر أن يكون لها الحكم الحق (٣٢) » .

إذن فى اختصار ، انحرافهم عن الحب الحقيقى ، دخل بهم إلى حالة من الفراغ الداخلى ، أرادوا معالجته بالظهور كمعلمين للناموس ومدافعين عنه مع أنهم بعيدون عن غايته الحقيقية . وصارت حياتهم تتسم بكثرة المناقشات والمجادلات ليس رغبة فى البلوغ بأنفسهم و بغيرهم للحق وإنما من أجل تمتعهم بالسلطة وحب الرئاسة . ولئلا يفهم القارىء أن الرسول يتهم الناموس فى ذاته أو التعليم به كأمر غير صالح ، أكد : « **ولكننا نعلم أن الناموس صالح إن كان أحد يستعمله ناموسياً** » (ع ٨) . فالخطأ ليس فى الناموس ، وإنما فى إساءة استعماله . يشبههم **القديس أغسطينوس** بإبنتى لوط اللتين أساءتا التصرف مع أبيهما فانجبا لنا موآب و بنى عمون اللذين يشيران إلى الأعمال الشريرة ، وكانا هما ونسلهما سر متاعب لا حصر لها لشعب الله . كما يقول القديس فى نفس الموضع : « لم تصدر المتاعب الرئيسية للكنيسة إلا عن الذين يسيئون استخدام الناموس (٣٣) » .

لقد ظن بعض المسيحيين الذين من أصل يهودى أن الرسول بولس يتحدث ضد الناموس (أع ٦ : ١٣ ، ١٤) ، لهذا كان يؤكد بكل وضوح أنه صالح ومقدس (رو ١٢ : ١٢) إن استعملناه ناموسياً ، أى أدركنا أنه « غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن » (رو ١٠ : ٤) ، أو كما يقول : « كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان » (غلا ٣ : ٢٤) ، إن قبلنا إبن الله « مولوداً من إمرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى » (غلا ٤ : ٤ ، ٥) . لقد أخذنا الناموس لا لندخل فى مباحثات غبية ، وإنما لكى يدين الخطية العاملة فينا فنقبل السيد المسيح مبرر الخطاة ، يحررنا من حكم الموت الذى صار علينا بالناموس . لهذا يقول الرسول : « فإن

الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » (رو ٦ : ١٤) ، « لأنى مت بالناموس لأحيا لله » (غلا ٢ : ١٩) ، « ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس ، مغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يعلن ، إذ قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان ، ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب » (غلا ٣ : ٢٣) . « ولكن إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس » (غلا ٥ : ١٨) .

يتحدث **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن دور الناموس ، قائلاً : « إن استخدمت الناموس بطريقة سليمة يقودك إلى المسيح . فإن كان هدفه هو تبرير الإنسان لكنه يعجز عن تحقيق ذلك ، فإنه يقدمك إلى القادر على تحقيق ذلك [٣٤] » . لكن إذ ندخل إلى السيد المسيح ، وننعم بالحياة المعطاة لنا فيه بالروح القدس ، إنما ننعم بما عجز عن تقديمه لنا بالناموس ، فلا حاجة للعودة إلى السقوط تحت الناموس من جديد . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** إن الفارس يستخدم اللجام فى ضبط الفرس فى البداية ، لكن متى سلك بانضباط فلا حاجة للجام . والطفل يتعلم الحروف الأبجدية لكن متى صار ماهراً فى القراءة فلا عوز للعودة إلى الأبجدية . هذا هو إستعمال الناموس ناموسياً ، أى تحقيق هدفه فينا فنعلو على الناموس ولا نبقى تحته . « الذين هم فوق الناموس ليسوا بعد فى مدرسة الناموس ، إنما يحفظونه بدخولهم إلى درجة أعلى ، و يتممونه خلال ميلهم للفضيلة وليس عن خوف ... فمن يعيش فوق الناموس يستعمله ناموسياً [٣٥] » . بمعنى آخر استخدام الناموس ناموسياً إنما هو الدخول فى الحياة الفاضلة فى المسيح يسوع ، فلا نبقى تحته ، ولا يتحول فى حياتنا إلى مباحثات ومجادلات نظرية . يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : **« إن كان أحد يتممه بتصرفاته يكون قد تممه ناموسياً ، إنما يستخدمه لنفعه الخاص [٣٦] »** .

بهذا نفهم الناموس أنه مقدم للأثمة والأشرار لكى يقودهم إلى السيد المسيح كمخلص لهم ، يهبهم الحياة الفاضلة فيه و يرتفع بهم إلى ما فوق الناموس . لهذا يقول الرسول : **« عالماً هذا أن الناموس لم يُوضع للبار بل للأثمة والمتمردين ، للفجار والخطاة ، للدنسين والمستبيحين ، لقاتلى الآباء وقاتلى الأمهات لقاتلى الناس ، للزناة لمضاجعى الذكور ، لسارق الناس ، للكذابين الحانثين ، وإن كان شىء آخر يقاوم التعليم حسب إنجيل مجد الله المبارك الذى اؤتمنت أنا عليه » (ع ٩ - ١١) .**

الشرور المذكورة هي أبشع أنواع الخطية المفسدة للنفس التي تقاوم الحياة المقدسة في الرب حسب إنجيل مجده . وقد جاء الناموس من أجل مرتكبيها ليتعرفوا على عجزهم الذاتي التام ، فيقبلوا على السيد المسيح ليس كغافر لهم هذه المعاصي المرة فحسب وإنما ليدخل بهم إلى « مجد الله المبارك » خلال إنجيل خلاصه المجاني . هذا الإنجيل المجيد الذي اؤتمن عليه الرسول يُقدم للأشرار خلال الناموس الذي فضحهم وأعلن بؤسهم .

و يرى **القديس أمبروسيوس** أن الناموس هام ليس للأبرار بل للأشرار، لأن الأولين يمكن أن ينسحبوا للحياة الفاضلة خلال ناموس ذهنم ، أما الأشرار فيردعهم الناموس خلال الخوف من العقوبة (٣٧) .

من جانب آخر ، إن كان الرسول يكتب إلى تلميذه تيموثاوس أن موضوع كرازته هو الوصية التي غايتها « المحبة » ، فإن هذا الحب يفتح قلبنا لنرى الناموس مقدماً لأشر الطبقات وأدنسها ليدخل بها إلى مجد إنجيل الله . وكأن الرسول يوصي تلميذه بالحب لكل إنسان خاصة الأشرار حتى يقتنصهم من شرهم إلى الحياة الإنجيلية المباركة . هنا لا يقول « الأشرار» بل يعدد الأشرار هكذا :

الأثمة والمتمردون ، أي كاسرو الوصية عن عمد ، وليس عن ضعف أو في جهل ...

الفجار ، أي محبو الخطية ، الذين يرتكبون الآثام بجسارة في غير حياء أو خجل !

المستبيحون ، أي الذين يشربون الإثم كالماء ، دون أدنى إثارة لضمائرهم !

قتلة الآباء والأمهات ، يمثلون أقسى أنواع القلوب ، إذ هم أشر من الوحوش الكاسرة التي لا تؤذي رالديها !

مضاجعو الذكور ، أدنس أنواع الزنا والنجاسة ، يصنعون النجاسة خلافاً للطبيعة !

سارقو الناس ، وهم أشر اللصوص ، يخطفون البشر ليبيعوهم كعبيد (خر ٢١ : ٦ ، تث ٢٤ : ٧) .

الحانثون ، الذين يرتكبون ألعن أنواع الكذب .

مقاومو التعليم الصحيح ، هؤلاء الذين لا يصنعون الشر فحسب وإنما يقاومون الحق .

من أجل هؤلاء وأمثالهم قدم الله ناموسه ، ليدخل بهم إلى الشعور بالحاجة إلى

مخلصهم ، فكم بالحرى يليق بنا أن نفتح قلوبنا بالحب نحوهم ، دون الاستهانة بهم أو اليأس من خلاصهم .

٣ - الإلتزام بالخدمة :

إن كانت الوصية غايتها المحبة ، هذه التى تفتح القلب بالحب للجميع فيهتم الراعى بالأثمة والفجار والمستبيحين إلخ .. فإن هذا العمل ليس فضلاً من جهة الراعى نحو الرعية إنما أشبه برد الدين ، إذ يقابل الراعى محبة الله له بحبه لشعب الله . هذا هو سر التزامنا بالخدمة ، أنه أحبنا أولا فنلتزم أن نحبه فى أولاده .

يقدم الرسول بولس نفسه مثلاً عملياً لعمل الله فى حياته ، قائلاً : « **وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قوانى أنه حسبنى أميناً إذ جعلنى للخدمة ، أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً ، لكننى رُحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان** » (ع ١٢ ، ١٣) . يقدم الرسول بولس تسبحة شكر لله الذى لما رآه يهوى فى الموت بتجديفه واضطهاده كنيسة الله وافترائه لم ينقذه فحسب وإنما أقامه خادماً مؤتمناً على الحق . لم يغفر له ماضيه فحسب وإنما أقامه سفيراً له . كثيراً ما كان الرسول يعلن ما كان عليه قبلاً كمضطهد ومفترى (أع ٢٢ : ٧) ليعلن تفاضل نعمة الله المجانية عليه ، منكراً كل استحقاق شخصى فى قيامه بالخدمة ، ناسياً كل الفضل لله ، ولكن دون تجاهل لحرية الارادة الإنسانية التى يقدسها الله . إنه مدين كل الدين لنعمة الله التى تفاضلت جداً فأقامته للخدمة ، إذ يقول « قوانى » ، أى وهبنى « قوته الإلهية » لكى أرد الدين بالحب نحو الذين لم يختبروا بعد عمله الخلاصى ، ولكى لا أيأس قط من خلاص إنسان ! يقول **القديس أغسطينوس** « إذ نال بولس عفواً عن جرائم عظيمة هكذا ، يليق ألا ييأس أحد من أى خطية ، فإنها تغفر له ! .

لقد أدرك الرسول بولس أنه قد « رُحم » ، فما يناله من نعم إنما هى من قبيل مراحم الله المجانية ... وكما يقول **القديس أغسطينوس** «إنه يقول بأنه رُحم ليس خلال استحقاقاته الذاتية وإنما خلال مراحم الله (٣٩) » ، و يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « لاحظ كيف يشكر الله ، إذ يعرف أن حتى ما يفعله من جانبه إنما هو فضل من الله الذى جعله إناءً مختاراً (٤٠) » .

فى إتضاع يعترف الرسول بولس أنه كان مجدفاً ومضطهداً ومفترياً ، فلماذا دعاه الله للخدمة دون غيره من المجدفين والمضطهدين والمفترين ؟ يجيب **القديس يوحنا الذهبى**

الفم : « لأن ما فعلوه لم يكن بجهل ، وإنما بإرادتهم عن معرفة كاملة . هناك شهادة بذلك ، إذ يقول الإنجيلي : « ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً غير أنهم بسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع ، لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله » (يو ١٢ : ٤٢ ، ٤٣) . مرة أخرى قال لهم المسيح : « كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض ؟! » (يو ٥ : ٤٤) . بلى، قال اليهود أنفسهم : « انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً ، هوذا العالم قد ذهب وراءه » (يو ١٢ : ١٩) . هكذا كانوا دائماً محبين للسلطة ... ، أما بولس فأين كان حينئذ ؟ قد يقول قائل أنه كان عند قدمي غمالائيل ، ولم يكن له نصيب بين جموع المتآمرين ضد يسوع ، لأن غمالائيل لم يظهر كانسان طموح ! إذن كيف ارتبط بولس بالجموع (المقاومة) ؟ لقد شاهد التعليم ينمو ويسود ، إذ صار مقبولاً على نطاق واسع . ففي حياة المسيح رافقه التلاميذ ، وبعد ذلك صار معلمو اليهود مهجورين تماماً ، لذلك قام بولس ضد التعليم ليس كبقية اليهود بدافع حب السلطة وإنما بسبب الغيرة . ماذا كان الدافع لرحلته إلى دمشق ؟ لقد ظن أن التعليم مؤذ ، وكان يخشى من انتشاره في كل موضع . أما اليهود فلم يكن همهم الجموع إنما حب السلطة التي تأثرت بأعمالهم ...[41] » .

ما كان يُحزن قلب الرسول بولس هو أن البسطاء قد تعرفوا على السيد المسيح وقبلوا إنجيله ، حتى العشارين تمتعوا به ، أما هو فقضى غالبية عمره يدرس الناموس ، لكن في جهالة ، إذ اهتم بحرفه دون غايته ، لكن مراحم الله انتشلته إلى الاستناره !

يقول الرسول : « وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع » (ع ١٤) . لم تقف مراحم الله عند عدم معاقبته على تصرفاته الماضية من تجديف واضطهاد وافتراء ، وإنما رفعته إلى حالة « الدخول في المسيح يسوع » ليصير فيه إبناً لله ووارثاً له . هذا ما شعر به الرسول أمام نعمة الله المتفاضلة جداً والفائقة لكل رحمة ، لذا يكمل ، قائلاً : « صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا » (ع ١٥) . هذه هي نعمة الله التي انتشلت أول الخطاة !

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : « لا يرى أحد سجيناً قد صار في القصر ويشك في نوال الرحمة . هكذا كان حال بولس ، مقدماً نفسه مثالاً . فإنه لم يخجل من أن يدعو

نفسه خاطئاً ، بل بالحرى يبتهج بذلك ، مقدماً الدليل الحسن على معجزة الله معه ، هذا الذى حسبه أهلاً لحنوفائق . هنا يدعو نفسه خاطئاً بل أول الخطاه ، مع أنه فى موضع آخر يؤكد « أنه من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم » (فى ٣ : ٦) فبالنسبة للبر الذى هو من عمل الله ، البر الذى يطلبه بحق ، يُحسب حتى الأبرار فى الناموس أنهم خطاة ، « إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (رو ٣ : ١٣) . لذا حينما يتكلم عن بره يقول « البر الذى فى الناموس » . إنه كمن يطلب ثروة فيظن فى نفسه أنه غنى ، لكنه متى قارن نفسه بكنوز الملوك يحسب نفسه فقيراً جداً وأول الفقراء . هكذا أيضاً إذا قورن حتى الأبرار بالملائكة فإنهم يحسبون خطاه ، وإن كان بولس الذى يعمل البر الذى فى الناموس يُحسب أول الخطاه فأى إنسان يُدعى أنه بار؟ إنه لم يفعل ذلك ليدين حياته ويحكم عليها أنها دنسة ، وإنما بمقارنة بره ببر الله يظهر أنه غير مستحق شيئاً ، ليس هذا فقط وإنما أراد أن يؤكد بأن الذين يتمتعون بهذا هم الخطاة [٤٢] » .

« لكننى لهذا رُحمت ليظهر يسوع المسيح فىّ أنا أولاً كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية » (ع ١٦).

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارة بقوله : « رُحم حتى لا ييأس أى خاطى من نوال الرحمة ، إنما يشعر كل أحد بتأكيد نواله عطية مشابهة . إنه إتضاع متزايد ، إذ يدعو نفسه أول الخطاة ومجدفاً ومضطهداً وغير مستحق أنه يدعى رسولاً ، مقدماً نفسه مثالاً . إفترض أن مدينة مزدحمة سكانها جميعهم أشرار ، بعضهم شره متزايد والآخر شرهم أقل ، فإن الكل يستحق الإدانة . فإن كان من بينهم إنسان يستحق عقوبة أكثر من الكل إذ فعل كل أنواع الشر ، وقد أعلن الملك أنه يود العفو عن الجميع ربما لا يصدقوه مثلما لو عفى بالفعل عمن فعل الشر أكثر من الجميع . بهذا لا يطرأ أدنى شك لدى أحد » . هذا ما يقوله بولس : إن الله أراد أن يقدم تأكيداً كاملاً للغفران عن العصاة ، فاختاره كموضوع رحمة الله بكونه أول الخطاة . بنواله الرحمة يبرهن أنه لا تعود بعد توجد دينونة على غيره . إنه كمن يقول : إن كان الله يعفو هكذا فإنه لن يعاقب أحداً . إن كنت أنا قد خلصت فلا يشك أحد فى الخلاص . لاحظ إتضاع هذا الطوباوى إذ لم يقل « ليظهر فىّ الأناة » بل « كل أناة » ، وكأنه يقول : لا حاجة لظهور أناة أعظم مما تظهر فى حالتى أنا ، فليس من خاطىء يحتاج إلى كل عفو الله وكل أناته وليس جزءاً منها مثلى ! [٤٣] » .

يكمل الرسول : « **وملك الدهور الذى لا يفنى ولا يُرى ، الإله الحكيم وحده ، له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور. آمين** » (ع ١٧).

هذه المراحم الإلهية التى رفعت معلمنا بولس الرسول من تحت العقوبة إلى مبعوث الكنيسة ورسولها ، تمجد الله ملك الدهور . حقاً لقد تمجّد الإبن بهذا العمل الإلهى ، وتمجد الآب كمدبر لهذا الخلاص . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « من أجل هذه الأمور لا نمجد الإبن وحده بل والآب أيضاً ... يتمجد الآب بالأكثر عندما يصنع الإبن أموراً عظيمة (٤٤) » .

كيف نمجد الله ونكرمه ؟ إننا لا نكرمه بكلمات التسبيح مثلما نكرمه بالعمل ، خلال تقديسنا روحاً وجسداً فى إبنه يسوع المسيح بواسطة روحه القدوس . ليس فقط بتقديسنا نحن وإنما أيضاً بالصلاة مع العمل الدائم لأجل تقديس كل إنسان روحاً وجسداً . فإن كان الله قد تمجد فى شاول الطرسوسى إذ رُحم وصار رسولاً للحق ، فإنه بالحق تمجد بالأكثر بدخول الكثيرين - خلاله إلى الحياة الجديدة وتمتعهم بروحه القدوس .

٤ - الجهاد فى الخدمة :

بعدما تحدث الرسول مع تلميذه عن الالتزام بالخدمة الرسولية ، كدين يفيه لله الذى احبه وأنقذه ، وعلامة حب صادقة وارتباط بالوصية ، فإنه يختم حديثه فى هذا الإصحاح عن « الجهاد فى الخدمة » ، إذ يقول : « **هذه الوصية أيها الإبن تيموثاوس أستودعك إياها حسب النبوات التى سبقت عليك لكى تحارب فيها المحاربة الحسنة** » (ع ١٨).

يبدو أن البعض قد تنبأ عن القديس تيموثاوس أثناء عماده أو عند بدء خدمته والتزامه بالعمل الرعوى ، لهذا إذ يقدم له الرسول الوصية الخاصة بالحب العملى الرعوى ، لا يقدمها له من عندياته بل من الله نفسه الذى دعاه للخدمة . موضوع هذه الوصية هى أن يحارب روحياً المحاربة الحسنة ، أى يجاهد فى الخدمة كمن هو فى جيش روحى لينقذ كل نفس من أسر الخطية. يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « كما أن فى الجيش لا يخدم الكل بنفس الطاقة إنما كل يعمل حسب موقعه ، هكذا فى الكنيسة يعمل واحد كمعلم وآخر كتلميذ وثالث كفرد من الشعب (٤٥) » .

ماذا يعني الرسول بالمحاربة الحسنة التي يلتزم بها القديس تيموثاوس ؟

لا يكفي أن يجاهد الخادم في خدمته وإنما يلزم أن يجاهد حسناً ، أي يقدم الوصية كما يليق ، يقدم وصية الله الممتدة في العهد القديم كما في العهد الجديد بروح واحد وفكر واحد . يقول القديس أكليمنضس الاسكندري أن ما ذكره الرسول هنا عن النبوات لا تخص القديس تيموثاوس شخصياً ، إنما هي نبوات العهد القديم عن الكرازة بالعهد الجديد . وكأن ما يفعله القديس تيموثاوس في خدمته إنما يحقق هذه النبوات الخاصة بالكرازة بالإنجيل .

إذ يتحدث الرسول عن الجهاد الروحي للخادم يربط الحياة الداخلية الخاصة بالخادم بالعمل الكرازي دون انفصال ، إذ يقول له : « ولك إيمان وضمير صالح الذي إذ رفضه قوم انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضاً ، الذين منهم هيمينايس والاسكندر اللذان أسلمتهما للشيطان لكي يؤدبا حتى لا يجدفا » (ع ٢٠) .

إن كان في كل وقت يوجد مقاومون للحق كما حدث في أيام موسى وهرون حيث ظهر الساحران ، فإن الراعي الناصح يلزمه وهو يسند شعب الله ضد المقاومين للتعليم الصحيح ألا يفقد حياته الروحية ، إنما ليكن له « إيمان وضمير صالح » . يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على العبارة الرسولية السابقة هكذا : « من أراد أن يكون معلماً يلزمه أولاً أن يعلم نفسه . وكما أن الذي لم يكن يوماً ما جندياً لا يقدر أن يكون قائداً هكذا المعلم أيضاً (يلزمه أولاً أن يكون تلميذاً) » . لهذا يقول في موضع آخر : « بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً » (١ كو ٩ : ٢٧) ، إنه يقول : « لك إيمان وضمير صالح » حتى تقدر أن تدبر الآخرين . عندما نسمع هذا لا نستخف بوصايا رؤسائنا حتى وإن كنا نحن أنفسنا معلمين ، لأنه إن كان تيموثاوس الذي لا نستحق نحن جميعاً أن نُقارن به قد تقبل وصايا وكان يتعلم مع أنه كان معلماً فكم بالحري يجب علينا نحن أن نقبل ذلك ؟! (٤٦) » . و يقول الأسقف أمبروسيوس : « إنني أرغب في الجهاد في التعلم حتى أكون قادراً على التعليم ، لأنه يوجد سيد واحد (الله) الذي وحده لا يتعلم ما يعلّمه للجميع (٤٧) .

أما وقد رفض بعض المعلمين الإيمان والضمير الصالح فقد « انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضاً » . هذا أمر طبيعي ، فإن الحياة الفاسدة تدفع حتى المعلمين

للانحراف عن الإيمان المستقيم و يسقطوا فى هرطقات وبدع ، و بالتالى تنكسر بهم السفينة من جهة الإيمان . بمعنى آخر ، كما تلتحم الحياة الروحية الفاضلة فى المسيح بالإيمان المستقيم ليحيا الإنسان برجاء الفرح ، هكذا تلتحم الحياة الفاسدة بالمباحثات الغبية البعيدة عن الإيمان المستقيم لتنكسر السفينة ولا يجد المسيحى له ملجأ . وكأن الحياة هى وحدة واحدة متكاملة لا تنفصل فيها التقوى عن استقامة الحياة و بالتالى عن الرجاء المفرح ، كما لا ينفصل الفساد عن الانحراف الإيمانى والسقوط فى اليأس . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « إن كان أحد ينحرف عن الإيمان لا يكون له ثبات ، فيسبح هنا وهناك حتى يفقد نفسه فى الأعماق، (٤٨) » .

يقدم لنا الرسول مثالين ، قائلاً : « **الذين منهم هيمينايس والاسكندر اللذان أسلمتهما للشيطان لكى يؤدبا حتى لا يُجدفا** » (ع ٢٠) . أما هيمينايس فهو المذكور فى ٢ تى ٢ : ١٧ ، واصفاً إياه أنه قد زاغ عن الحق قائلاً إن القيامة قد حصلت فيقلب إيمان قوم . لقد قدم تعاليمه المضللة باساءة استخدام كلمات السيد المسيح عن قيامة النفس من موت الخطية بالإيمان به ، منكراً قيامة الجسد فى اليوم الأخير. أما الإسكندر فغالباً هو المذكور فى ٢ تى ٤ : ١٤ « اسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيرة ، فليجازه الرب حسب أعماله » . هذان الرجلان رفضا صوت الله لحساب كبرياء قلبهما ، فسقطا فى الحياة الشريرة ، وانحرفا عن الإيمان كثمرة لهذه الحياة الفاسدة . لذا رأى الرسول بولس أن يسلمهما للشيطان ليس للانتقام منهما وإنما لتأديبهما . ربما قصد بذلك الحكم عليهما بالقطع من شركة الكنيسة المقدسة حتى لا يُفسدا أفكار الإخوة ، وفى نفس الوقت ربما بحرمانهما من الشركة يرجعان إلى الله بالتوبة . هذا ما حكم به الرسول على مرتكب الشر مع إمرأة أبيه فى كورنثوس ، إذ يقول : « باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحى مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح ، أن يُسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع ، ليس إفتخاركم حسناً ، ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله ؟! » (١ كو ٥ : ٤ - ٦) .

يتساءل **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « لكن كيف يعلمهما الشيطان ألا يجدفا ؟ هل يقدر أن يعلم غيره ذاك الذى لم يعلم نفسه ، إذ لا يزال هو نفسه مجدفاً ؟ » ويجيب : « إنه لا يعلمهما بل كما قيل « لكى يؤدبا » ، إنه لا يقوم بعمل (التعليم) وإن كانت هذه هى النتيجة ... فكما أن الجلادين وإن كانوا هم أنفسهم موسوثين بجرائم لا حصر لها يكونون

سبباً فى إصلاح الغير، هكذا يكون الأمر بالنسبة للشيطان ([49]) » . وكما يقول **العلامة ترتليان** : « بالتأديب يتعلما ألا يجدفا ، فقد أعطى لخدام الله السلطان لتسليم الشخص للشيطان مع أن الشيطان نفسه ليس له سلطان علينا من ذاته ([50]) » ، و يقول **القديس چيروم** : « كأن الشيطان جلاد يستخدمه الرب ... فيعنى الرسول أن الخطاة يسلمون للشيطان لتأديبهم بواسطته حتى يرجعون إلى الله ([51]) » .

يلاحظ أن الرسول يقول « لكى يؤدبا » ، فهو لا يبغى العقوبة للإنتقام وإنما يطلب التأديب للإصلاح ، لهذا وإن بدا قاسياً على مرتكب الخطية مع إمرأة أبيه (١ كو ٥ : ٤ – ٦) لكنه إذ قُطع هذا العضو عن الشركة المقدسة ، وأظهر حزناً شديداً بالتوبة خشى عليه الرسول من اليأس فأسرع يكتب إلى أهل كورنثوس قائلاً : « إن كنت أحزنكم أنا ، فمن هو الذى يفرحنى إلا الذى أحزنته ... هذا يكفيه هذا القصاص الذى من الأكثرين ، حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرى وتعزونه لئلا يُبتلع مثل هذا من الحزن المفرط ، لذلك أطلب أن تمكنوا له المحبة » (٢ كو ٢ : ٢ ، ٧ ، ٨) . و يوضح الرسول غاية التأديب بقوله : « لذلك أكتب بهذا وأنا غائب لكى لا أستعمل جزماً وأنا حاضر حسب السلطان الذى أعطانى إياه الرب للبنيان لا للهدم » (٢ كو ١٣ : ١٠) ... و يعلن الرسول كيف لا يشتاق إلى التأديب بل الترفق ، إذ يقول : « ماذا تريدون : أبعصا آتى إليكم أم بالمحبة وروح الوداعة ؟! » (١ كو ٤ : ٢١) .

الأصحاح الثانى :

العبادة الكنسية العامة

بعدما كشف الرسول لتلميذه عن مفهوم الوصية كموضوع الرعاية لكى يتسع قلبه بالحب لخدمة الجميع خاصة الأشرار، فلا ينشغل بالمباحثات الغبية بل بخدمة الحب العملى ، باذلاً كل الجهد كجندى روحى صالح ، بدأ يحدثه عن العبادة الكنسية الجماعية .

١ – الصلاة من أجل كل البشرية	١ – ٧ .
٢ – ارشادات للرجال فى العبادة	٨ .
٣ – إرشادات للنساء فى العبادة	٩ – ١٥ .

١ – الصلاة من أجل كل البشرية :

« فأطلب أول كل شىء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس » (ع ١) .

يكشف الرسول بولس عن رسالة الكنيسة ، سواء على المستوى المسكونى أو المحلى ، أو على مستوى كل عضو فيها . فإن الكنيسة ليست مؤسسة تنافس العالم فيما له ، لكنها أولاً وقبل كل شىء هى جماعة متعبدة لله لأجل تقديس العالم ، تقدم الطلبات والصلوات والابتهالات والتشكرات عن جميع الناس .

يرى **الأب اسحق** (٥٢) أن ما ذكره الرسول هنا يمثل مراحل حياة الشركة مع الله التى ينعم بها المؤمن ، كمراحل متصاعدة وفى نفس الوقت متكاملة معاً . فيبدأ المؤمن بالطلبة أى السؤال عن احتياجاته الضرورية ليرتفع من الطلبة إلى الصلاة أى الالتصاق بالله والدخول معه فى صلة عميقة وحب لأجل الله ذاته . خلال هذا الحب الإلهى يرتفع إلى الابتهال أو التشفع عن الآخرين فلا يطلب ما لنفسه بل ما هو للغير، و ينسى احتياجاته أمام محبته لإخوته . وأخيراً يمارس التشكرات بكونها الحياة الملائكية التى تقوم على أساس الشكر الدائم بلا انقطاع والتسبيح لله بغير انقطاع .

على أى الأحوال ، تمارس الكنيسة فى صلواتها وليتورچياتها كل هذه الأنواع من الصلاة ، خاصة فى ليتورچيا الأفخارستيا ، أى القداس الإلهى . فيطلب الإنسان من أجل نفسه لنوال غفران خطاياه والتمتع بالنمو الروحى واشباع كل احتياجاته وأعوازه الروحية والنفسية والجسدية ، وتمتزج هذه الطلبات بالصلوات فيدخل المؤمن الحىّ فى حديث سرى مع الله فى إبنه الوحيد بالروح القدس . ولا تكف الكنيسة عن ممارسة الابتهالات فتشفع عن جميع الناس ، أما جوهر الأفخارستيا فهو التمتع بالحياة الجديدة الشاكرة ، خلال ثبوتنا فى المسيح يسوع ربنا ... حتى دعى القداس الإلهى بالأفخارستيا أى « الشكر » .

وتحدث العلامة أوريجانوس بشىء من التفصيل عن التميز بين هذه الأنواع من الصلاة معطياً أمثلة لذلك . فيرى أن الطلبة هى توسل برجاء أن ينال الإنسان شيئاً هو فى عوز إليه ، كطلبة زكريا الكاهن ، إذ يقول له الملاك : « لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وإمرأتك أليصابات ستلد لك إبناً وتسميه يوحنا » (لو ١ : ١٣) . أما الصلاة فهى تعبير يقدم لله وحده يمثل عبادة فيها مديح له . وكما يقول أوريجانوس أنه يمكن تقديم التعبيرات الثلاثة الأخرى لغير الله كأن يطلب إنسان شيئاً من آخر أو يشفع (يبتهل) عن آخر لدى أخيه ، أو يشكر من صنع معه معروفاً ، أما الصلاة فلا تقدم لغير الله . من أمثلة الصلاة ، ما جاء فى ١ صم ١ : ١٠ عن حنه إمرأة القانه أنها « صّلت إلى الرب و بكت بكاءً » أما الابتهال ففى رأيه هو طلب يُقدم لله من أجل أمور معينة يقدمه من له ثقة أكثر من المعتاد . أما المثل الفريد فى الابتهال فهو عمل الروح كقول الرسول « لكن الروح يشفع فينا بأنات لا ينطق بها ، ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح ، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين » (رو ٨ : ٢٦ ، ٢٧) . أخيراً الشكر هو عرفان بالجميل مع صلاة بسبب عطية الله و بركاته . وجاء حديث السيد المسيح مع أبيه مثلاً فريداً إذ يحمده لأجل عطاياه التى يقدمها للبسطاء ، إذ يقول الكتاب : « فى ذلك الوقت أجاب يسوع وقال أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض ، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال » (مت ١١ : ٢٥) .

و يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على هذا النص بكونه دعوة لعمل كنسى مملوء حباً للكل يشترك فيه الكاهن مع الشعب صباحاً ومساءً مصلين عن البشرية كلها حتى المقاومين الوثنيين ، إذ يقول : « الكاهن أب كما لو كان للعالم كله ، لذا يليق به أن يهتم بالجميع كالله الذى يخدمه ... وهذا يؤدى إلى نفعين : أولاً نزع الكراهية من جهة من هم

من الخارج إذ لا يقدر أحد أن يشعر بالكراهية نحو من يصلى من أجله ، وثانياً أن هؤلاء أنفسهم يصيرون فى حالة أفضل بفعل الصلوات المرفوعة عنهم فيتركون وحشيتهم التى يصوبونها ضدنا ، فإنه ليس شىء يجتذب البشر للتعلم مثل أن يحبوا ويحبوا . تطلع إلى الذين اضطهدوا المسيحيين وجلدوهم ونفوهم وقتلوهم ، فإن المسيحيين كانوا يقدمون صلوات حارة لدى الله من أجل الذين عاملوهم ببربرية كهذه . وكما أن أباً إن لطمه طفل صغير على وجهه يحمله على كتفيه ، إذ أن تصرف الطفل لا ينزع عنه حنوه من جهته هكذا يليق بنا ألا نفقد إرادتنا الصالحة نحو من هم من الخارج حتى وإن ضربونا ... ماذا يعنى الرسول بقوله « **أول كل شىء** » (ع ١ ؟) أى فى الخدمة اليومية وكما تعرفون كيف نقدم صلوات يومية فى المساء والصباح من أجل العالم كله ، عن الملوك وكل من هم فى منصب (٥٤) » .

يكشف لنا هذا النص عن ممارسة الكنيسة لليتورجيات جماعية صباحية ومسائية ، فيها تبتهل الكنيسة عن الملوك (الرؤساء) ومن هم فى مراكز قيادية مع بقية الابتهالات عن كل البشرية . ونحن نجد فى القداس الباسيلى الصلاة عنهم كجزء من الصلاة من أجل سلام الكنيسة قبل صلاة الصلح ، فى القداس الأغريغورى تقدم أوشية خاصة بالملك (الرؤساء) والعاملين فى البلاط (القصر) وجميع العاملين فى الدولة والجند لأجل سلامهم .

يقول الرسول : « **لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار** » **(ع ٢)** .

يتساءل **القديس يوحنا الذهبى الفم** إن كان يمكن الصلاة من أجل ملك وثنى أثناء الإحتفال بالأسرار الإلهية ؟ ويجيب قائلاً : « لقد أظهر الرسول فائدة ذلك بقوله « لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة » . وكأنه يقول إن سلام (المسئولين) هو آمان لنا . وفى رسالته إلى أهل رومية يأمرهم بالطاعة للحكام « ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير» (رو ١٣ : ٥) ، فقد أقام الله الحكومة لأجل الصالح العام ... ليس فى تملق وإنما نطيع فى اتفاق مع أحكام العدل . فإنهم إن لم يكونوا محفوظين ومنتصرين فى الحروب ترتبك أمورنا حتماً وندخل فى متاعب ، وإذا هلكوا نتشتت (٥٥) » .

ماذا يعنى الرسول بقوله : « **لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى**

وقار؟ يجيب القديس يوحنا الذهبي الفم على هذا السؤال قائلاً بأنه يوجد ثلاث أنواع من الحروب: حرب تنشأ عن هجمات جيوش غريبة ضدنا، وحرب تثور فيما بيننا، والثالثة الحرب التي تنشأ داخل الإنسان نفسه. ويرى القديس أن هذه الطمأنينة وهذا الهدوء المذكور هنا يشير إلى هدوء النفس الداخلي، والراحة من جهة الحرب الثالثة، لذا يكمل الرسول «في كل تقوى ووقار». إن صلواتنا وطلبتنا من أجل جميع الناس وطاعتنا الصادقة للمسئولين تعطي سلاماً في القلب الداخلي كأبناء يحملون سمات عريسهم المحب المطيع! علاقتنا مع الآخرين لا تقوم على أساس نفعي مادي أو أدبي، ولا على أساس الخوف، وإنما على أساس إلهي... حيث نلتقي مع الجميع ونعمل على راحة الجميع من أجل الله محب البشر.

يكمل الرسول: **«لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (ع ٤)**. ويعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم**، قائلاً: «ما هو هذا المقبول؟ الصلاة من أجل جميع الناس! هذا هو المقبول لدى الله، هذه هي إرادته!... إمتثل بالله، فإنه يريد أن جميع الناس يخلصون! وهذا هو سر صلاة الإنسان من أجل الجميع! إن كان الله يريد أن جميع الناس يخلصون، فلترد أنت أيضاً هذا! وإذ تكون هذه هي إرادتك، فصلِ لكي تتحقق هذه الإرادة، فإن الإرادة (الرغبة) تقود إلى الصلوات (٥٦).

ربما يسأل أحد: هل نصلي من أجل الأمم الوثنيين؟ يجيب **القديس يوحنا الذهبي الفم**: «لا تخف من أن تصلي من أجل الأمم، فإن الله يريد ذلك، إنما خف من أن تصلي ضد أحد، إذ لا يريد الله هذا. إن كنت تصلي من أجل الوثنيين، فبالطبع يلزمك أيضاً الصلاة من أجل الهراطقة. فلنصلِ من أجل الجميع ولا نضطهد أحداً (٥٧)».

قد يتساءل البعض: لماذا أصلي من أجلهم؟ أما تكفي إرادة الله نحوهم؟ يجيب **القديس يوحنا الذهبي الفم**: للصلاة نفع عظيم لهم ولك فإنها تجتذبهم للحب، وتهبك أنت لطفاً. الصلاة قادرة على جذبهم للإيمان (٥٨)».

أخيراً فإن الرسول يؤكد حب الله لخلاص الجميع ليس فقط لكي نصلي في عبادتنا الكنسية والخاصة عن الجميع، إنما لينزع الثنائية الغنوسية التي تقسم المؤمنين إلى كاملين وبسطاء (٥٩).

يربط الرسول بين الصلوات الكنسية العامة وما تحمله من حب خالص نحو كل البشرية ووساطة السيد المسيح الكفارية لدى الآب عنا جميعاً ، قائلاً : « **لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع الشهادة فى أوقاتها الخاصة » (ع ٥ ، ٦) .**

لعل الرسول بولس أراد أن يؤكد أن إتساع قلبنا بالحب نحو البشرية ليس من عندياتنا وإنما يتحقق فينا خلال اتحادنا بالوسيط الواحد الذى لم يقدم مجرد صلوات لفظية عن البشرية لكنه تجسد وتألم ليفدى الكل ! إن سمة الحب التى لنا فى عبادتنا الجماعية الكنسية والشخصية إنما هى سمة السيد المسيح نفسه « الإله الواحد » الذى صار « الإنسان » ليفتدى الكل !

يليق بنا أن نقف قليلاً عند كلمات الرسول بولس هنا ، التى شغلت فكر الكنيسة الأولى وابتلعت مشاعر الآباء وهزت أعماقهم الداخلية .

من جهة لم يكن مجال الحديث هنا مهاجمة وساطتنا لبعضنا البعض بالحب لدى الله ، وإنما كما نعلم أن الغنوسيين آمنوا بوجود انبثاقات متتالية بدأت من الكائن الأعظم وانتهت إلى مجىء السيد المسيح ، هذه الانبثاقات هى أيونات تقدم المعرفة كطريق الخلاص . ففى نظرهم ينطلق الغنوسى خلال المعرفة إلى يسوع الذى يرفعه بالمعرفة أيضاً إلى أيون أعظم ، وهذا يرفعه إلى ثالث أعظم ، وهكذا يرتفع على سلم الأيونات حتى يبلغ بالمعرفة الكاملة إلى الكائن الأعظم . والرسول هنا يؤكد أن الحق الذى يريد الله أن يقبل إليه جميع الناس (٤٤)، إنما هو الإيمان بالآب الواحد الذى أرسل إبنه الوحيد الوسيط الكفارى الوحيد ليصالح البشرية المؤمنة معه ، هادماً بهذا فكرة الأيونات الغنوسية .

بهذا لا يمكننا بتر هذه العبارة عن مجالها الكامل ليستشهد بها البعض فى أنكار الشفاعة أو صلوات الكنيسة عن بعضها البعض ، سواء بالنسبة للأعضاء الراقدة فى الرب أو المجاهدة على الأرض ... فإن هذا انحراف بعيد عن فكر الوحى الإلهى ... إنما ما أراد الوحى تأكيده هو عمل المسيح الفريد فى خلاصنا ومصالحتنا مع أبيه ، الأمر الذى لن يمكن لكائن سماوى أو بشرى القيام به !

يؤكد الرسول « إله واحد » ليعود فيقول « الإنسان يسوع المسيح » ... وكأنه لا طريق للمصالحة إلا بالتجسد الإلهى . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الوسيط يتصل

بالطرفين ليتوسط بينهما . فلا يمكن للسيد المسيح أن يتوسط لدى الآب وهو منفصل عنه ولا أن يتوسط عن الناس منفصلاً عنهم . إنه كوسيط بين الله والناس يليق به أن يحمل الوحدة مع الآب فى الجوهر كما يحمل الوحدة مع الطبيعة البشرية . جاء مصالحاً الإثنين معاً بكونه إبن الله المتأنس ، لقد حمل فى طبيعته الواحدة إتحاد الطبيعتين معاً دون خلطة أو امتزاج أو تغيير .

* يرى القديس غريغوريوس أسقف نيصص أن غاية التجسد الإلهى هو تحقيق هذه الوساطة الفائقة ، إذ وهو إبن الله أخذ ناسوتنا لينزع العداوة التى كانت قائمة بين الله والإنسان ، أو بين الطبيعة الإلهية والبشرية (٦٠) ... لقد نزع عنا تغربنا عن الحياة الحقة ، حيث ردنا نحن البشر بين إلى الشركة مع أبيه .

* صار إبن الله بالتجسد إبن الإنسان ، حتى بشركته يوحدهما معاً فى نفسه ، هذين اللذين إنقسما بالطبيعة .

للقديس غريغوريوس النيصى (٦١)

* لم يرد أن يكون أى ملاك هو الوسيط بل الرب يسوع المسيح نفسه بقدر ما تنازل وصار إنساناً .

* هكذا إبن الله نفسه ، كلمة الله ، هو الوسيط بين الله والناس ، إبن الإنسان المساوى للآب فى وحدة اللاهوت وشريكنا بأخذه ناسوتنا .

إنه يتوسط عنا لدى الآب بكونه قد صار إنساناً ، دون أن يكف عن أن يكون هو الله ، الواحد مع الآب . إنه يقول : « لست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم ، ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتنى وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى لكيونوا واحداً كما أننا نحن واحد » (يو ١٧ : ٢٠ ، ٢١) .

القديس أغسطينوس (٦٢)

* يوجد وسيط فاصل ، ووسيط آخر مصالح . الوسيط الفاصل هو الخطية ، أما المصالح فهو الرب يسوع المسيح ... هذا الذى ينزع الحائط الفاصل أى الخطية . لقد جاء

وسيطاً وصار الكاهن وهو نفسه الذبيحة .

* إنه الباب المؤدى إلى الآب ، ليس هناك طريق للاقتراب من الآب إلا به .

القديس أغسطينوس ([٦٣])

* لا يتصالح إنسان مع الله خارج الإيمان الذى فى المسيح يسوع ، سواء قبل التجسد أو بعده .

القديس أغسطينوس ([٦٤])

* فى آخر الأزمنة أعادنا الرب بتجسده إلى الصداقة ، فقد صار وسيطاً بين الله والناس . استرضى الآب عنا نحن الذين أخطأنا إليه ، مبدداً عصياننا بطاعته ، واهباً إيانا عطية الشركة مع خالقنا والخضوع له .

القديس إيريناؤس ([٦٥])

* إنه يصالح الله مع الإنسان ، والإنسان مع الله !
يصالح الروح مع الجسد ، والجسد مع الروح !
فيه اتحدت كل الطبائع ، وتوافق الكل كعريس وعروس ، فى وحدة شركة الحياة الزوجية .

العلامة ترتليان ([٦٦])

* حفظ فى نفسه وديعة الجسد الذى أخذه بكلا جانبيه كعربون وضمان لكماله التام ، كما وهبنا غيرة الروح (٢ كو ٥ : ٥) .

أخذ منا غيرة الجسد ، ودخل به إلى السموات كعربون عن الكل ...

إذن ، لا تضطرب أيها الجسد ، ولا تحمل أى هم ، فقد نلت فى المسيح السموات وملكوت الله !

العلامة ترتليان ([٦٧])

* الوسيط بين الله والناس ، إذ صار بكراً للطبيعة البشرية كلها ، أعلن لإخوته فيما قد شاركهم فيه ... قائلاً : إنى أرحل لكى أجعل بنفسى الآب الحقيقى الذى انفصلتم عنه أباً لكم ، وأجعل الله الحقيقى الذى تمردتم عليه إلهاً لكم . بالبكورية التى صرت أنا فيها أقدم

البشرية جميعها لإلهها وأبيها فى شخصى أنا .

القديس غريغوريوس (٦٨)

لقد أنكر الغنوسيون حقيقة تأنس إبن الله ، إذ ظنوا فى الجسد أنه عنصر ظلمة لا يمكن للمخلص أن يتحد به ، فنادوا بأن جسده كان خيالاً ، والبعض قالوا حمل جسداً روحياً أخذه من السماء وعبر به فى أحشاء العذراء دون أن يأخذ منها لحماً ودماً ، لذلك يؤكد الرسول « **الإنسان يسوع المسيح** » لأن من ينكر تأنسه إنما ينكر عمله الخلاصى ، و ينزع عنه وساطته عنا . يقول **القديس أغسطينوس :** « من يعرف المسيح بكونه الله و ينكره كإنسان لا يكون المسيح قد مات عنه . إنه مات كإنسان . من ينكر المسيح كإنسان لا يجد مصالحة مع الله بواسطة الوسيط ... إنه لا يتبرر ، لأنه كما بمعصية إنسان كثيرون صاروا خطاة ، هكذا باطاعة إنسان واحد يتبرر الكثيرون (رو ٥ : ١٩) (٦٩) » .

إذ .. ل طبيعتنا لم يقدم الوساطة عنا كلاماً وإنما عملاً باذلاً خلال الصليب ، إذ يكمل الرسول : « **الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع الشهادة فى أوقاتها الخاصة** » (ع ٦) . لقد قدم حياته فدية ليصالح البشرية كلها مع الآب . هذه هى المصالحة العملية التى دفع إبن الله المتأنس ثمنها . هنا مرة أخرى يقول « لأجل الجميع » لينزع الثنائية الغنوسية فى حياة المؤمنين : أى وجود الكاملين والبسطاء .

لقد قدم السيد حياته فدية حتى من أجل الوثنيين ، لهذا نلتزم نحن بتقديم الصلوات من أجل الجميع والحب للكل . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم :** بلا شك مات المسيح حتى من أجل الوثنيين ، وأنت لا تقدر أن تصلى من أجلهم ؟! (٧٠) » . بهذا الحب العملى الشامل قدم الإبن الوحيد الشهادة الحقة للحب الإلهى فى الوقت المناسب .

هذا العمل الإلهى والشهادة الماسيانية خلال الفداء المقدم عن الجميع هو موضوع كرازة الرسول ، إذ يقول : **التى جعلت أنا لها كارزاً ورسولاً . الحق أقول فى المسيح ولا أكذب ، معلماً للأمم فى الإيمان والحق** » (ع ٧) . لقد تفرغ الرسول بولس للكرازة بالخلاص لجميع الأمم ، إذ امتدت نعمة الله لتشمل جميع البشرية ، لقد صار معلماً للأمم فى الإيمان والحق . إن كان الإيمان قد امتد خارج دائرة اليهود لذا صار الحق أو المعرفة غير قاصرة على فئة دون أخرى .

فى اختصار نقول إن المبدأ الأساسى فى عبادتنا الجماعية والشخصية هو اتساع القلب بالحب ليضم كل البشرية ، نصلى للجميع ونطلب خلاص الكل .

٢ - إرشادات للرجال فى العبادة :

« فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال » (ع ٨) .

يطلب الرسول من الرجال أن يرفعوا أياديهم طاهرة عندما يصلون فى كل مكان ، أى فى الاجتماعات الكنسية العامة كما فى العبادة العائلية وأيضاً فى المخدع ، مع أن السيد المسيح يقول : « وأما أنت فتى صليت فأدخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصلِ إلى أبيك الذى فى الخفاء ، وأبوك الذى فى الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ٥ ، ٦) . كيف يتحدث الرسول عن الصلاة « فى كل مكان » بينما يحدد السيد موضع الصلاة بالمخدع ؟ يجيب **القديس يوحنا الذهبى الفم :** « ليس فى هذا تناقض بل تناغم . يلزمنا أولاً أن ندرك ماذا يعنى بالقول « أدخل إلى مخدعك » ؟ ولماذا يأمرنا المسيح بذلك مادمنا نصلى فى كل مكان ؟ هل لا نصلى فى الكنيسة ولا فى أى موضع داخل البيت وإنما فقط فى المخدع ؟ إذاً ، ماذا يعنى هذا القول ؟ إن ما ينصحنا به المسيح هو تجنب الافتخار ، آمراً إيانا أن نقدم صلواتنا لا بطريقة محددة وإنما نقدمها سرياً . عندما يقول : « لا تعرف شمالك ما تفعل يمينك » (مت ٦ : ٣) ، لا يقصد الأيدى (الشمال واليمين) وإنما يحذر بشدة من الافتخار . هذا هو ما يقصده هنا ، فإنه لا يود أن يحدد الصلاة بموضع محدد إنما يسأل شيئاً واحداً وهو ترك المجد الباطل . أما ما قصده بولس فهو التمييز بين الصلوات المسيحية واليهودية ، لذا يقول « فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة » ، الأمر الذى لم يسمح به اليهود ، إذ لم يكن يُسمح لهم بالاقتراب إلى الله وتقديم ذبيحة وتكميل خدماتهم فى أى مكان ، بل يجتمع الكل من كل العالم فى مكان واحد ، و يرتبطون معاً فى الهيكل لتتميم عبادتهم . على خلاف ذلك يوصى الرسول بالتحرر من هذا ، وكأنه يقول : إن طريقنا مختلف عن الطرق اليهودية ، فكما أمرنا المسيح أن نصلى من أجل كل الناس لأنه مات من أجل الجميع يليق أن نصلى فى كل مكان ، وكأن المقصود هنا هو طريقة الصلاة [٧١] » .

إذن الصلاة فى كل مكان لا تتنافى مع وصية السيد المسيح الخاصة بالصلاة فى المخدع ، الأولى تعنى الصلاة بلا حدود مكانية حيث يتسع القلب بالحب للصلاة فى كل موضع من أجل الجميع ، والثانية تعنى تقديم الصلاة بعيداً عن المجد الباطل وحب الظهور.

هذه الوصية لا تخص الرجال وحدهم إنما هى وصية للكنيسة كلها ، رجال ونساء ، أطفال وشيوخ ، شباب وفتيان . الكل ملتزم أن يحيا بروح الرجولة أى النضوج الروحى ، فيبسط الكل يديه الداخليتين كما بسط السيد المسيح يديه على الصليب بالحب لينزع كل غضب عن البشرية .

ماذا تعنى الأيدى الطاهرة إلا الحياة العاملة خلال تقديس الروح ... فالصلاة وإن كانت تصدر عن القلب فى الداخل ومن الفم من الخارج لكن لا يمكن أن تُقبل ما لم تتحد بالعمل الروحى والجهاد الحق فى المسيح يسوع ... يلزم أن يرافق عملنا الروحى صلواتنا وتسابيحنا للرب !

تشير الأيدى الطاهرة إلى نقاوة الروح والجسد معاً ، وكما يقول **القديس چيروم :** « قيثارتنا إنما هى جسدنا ونفسنا وروحنا يعملون معاً فى توافق لتقدم أوتارهم جميعاً النغم ! (٧٢) .

لا تعنى الطهارة الغسل بالماء وإنما بالتوبة ليعمل الروح القدس فينا لنقاوة إنساننا كله ، الداخلى والخارجى . يقول **العلامة ترتليان :** « ما الداعى للذهاب للصلاة بأيدٍ مغتسلة حقاً بينما الروح متسخة ؟! يلزم رفع أيادى روحية طاهرة ، نقية من الباطل والإجرام والقساوة والسموم وعبادة الأوثان وغير ذلك من الأمور المخجلة ... هذه هى الطهارة الحقيقية (٧٣) » . كما يقول : « بعدما إغتسل الجسد كله ، أى تطهر فى المعمودية ، صارت الحاجة إلى التطهير بالتوبة المستمرة عما يلحق بأيدينا من دنس (٧٤) » .

٣ - ارشادات للنساء فى العبادة :

إن كان الرجل - بل وكل نفس ناضجة روحياً - يلزمه أن يتمثل بالسيد المسيح فيبسط يديه كما على الصليب بالطهارة الداخلية ليطلب لا بالكلام فحسب وإنما أيضاً بالعمل ، فى حب بلا جدال أو غضب ، فإنه يلزم بالمرأة - وكل نفس صارت كعروس للسيد - أن تهتم فى عبادتها بالزينة الداخلية لتفرح قلب عريسها السماوى . يقول الرسول

بولس : « وكذلك أن النساء يزين زواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل ، لا بضفائر أو ذهب أو لآلىء أو ملابس كثيرة الثمن ، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة » (ع ٩ ، ١٠) .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذا القول الرسولى : « ماذا ؟ هل تقتربين لله للصلاة بضفائر وحلى ذهبية ؟ العلك تأتين إلى مرقص ؟ أو حفلات خليعة ؟! فإن الضفائر والثياب الثمينة تليق بهذه الأماكن ، أما هنا فلا حاجة إلى مثل هذه الأمور . إنكِ تأتين إلى الصلاة لتطلبين المغفرة عن خطاياكِ... وتتوسلين إلى الرب ، وتترجين فيه أن يجيب عليك بسماحة ! لماذا تتزينين ؟ إنها ليست ملابس تليق بمن يتوسل ! كيف تتنهدين ؟ كيف تبكين ؟ كيف تصلين بحرارة وأنتِ مزينة هكذا ؟! (٧٥) » . كما يقول : « المسيح هو عريسك أيتها البتول ، فلماذا تجتذبين الأحباء البشريين ؟... الزينة التى ترضى الله هى الوداعة والعفة والالتزام بالترتيب واحتشام الملبس ؟ ... كفى غباء أيتها السيدة ! حولى اهتمامك إلى نفسك ، وإلى زينتك الداخلية (٧٦) » .

يمكننا أن نتلمس فى كلمات الرسول بولس أن الامتناع عن الزينة الخارجية فى ذاته ليس فضيلة إنما الفضيلة هى قبول زينة القلب الداخلى والفكر خلال الحياة التقوية (الورع) والتعقل ! فضيلة الإنسان أن يلبس السيد المسيح بكونه سر بهاء النفس بكل عواطفها وأحاسيسها والعقل بكل طاقاته . يقول الرسول « يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتقوى ... متعاهدات بتقوى الله باعمال صالحة » ، أى يحملن ورع الله وسماته فى داخلهن .

مانقوله عن الزينة نردده أيضاً بخصوص الاحتشام ، فإن لباس الاحتشام لا يعنى مجرد إرتداء أنواع معينة من الملابس ، إنما نحمل فينا مسيحنا ليهب للقلب والفكر والنظر واللسان إلخ إحتشاماً داخلياً وخارجياً ، إذ يليق لا بالنساء فقط وإنما بكل مسيحى أن يكون محتشماً فى نظراته وكلماته بل وأفكاره الخفية ، مردداً مع المرتل : « ضع يا رب حافظاً لفمى وباباً حصيناً لشفتى » . من هو الحافظ للفم وما هو الباب الحصين للشفتين ، إلا الروح القدس الذى يقدس الخارج والداخل والسيد المسيح نفسه الذى يفتح ولا أحد يغلق و يغلق ولا أحد يفتح .

بعد هذا تحدث عن التزام المرأة بالاحتشام الداخلى الروحى وعدم المبالغة فى الزينة

الخارجية ، خاصة أثناء العبادة الكنسية ، تكلم عن صمتها فى الكنيسة وعدم قيامها بتعليم الرجال فى الاجتماعات الكنسية العامة ، إذ يقول : « **لتتعلم المرأة بسكوت فى كل خضوع ، ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت ، لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء ، وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى ، ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل » (ع ١١ - ١٥).**

ربما يتساءل البعض : لماذا تصمت النساء ولا تعلم فى الكنيسة ؟ ولماذا ينسب لها الخضوع ؟

لكى نفهم هذا النص يلزمنا أن نتعرف على الظروف المحيطة بالكنيسة فى ذلك الحين ، ففى المجتمع اليهودى كانت المرأة ممنوعة من دراسة الناموس ولا يسمح لها أن تقوم بأى دور قيادى فى خدمة المجتمع ، وكان الرجل يشكر الله كل صباح على أنه لم يخلقه « أمياً ولا عبداً ولا إمرأة » ... هذا وإن كنا لا ننكر أن بعض النساء خلال التهاب قلبهن بمحبة الله تسلمن أدوار قيادية فى العهد القديم فى الجانب الدينى والسياسى ، حيث كان الدين لا يفصل عن السياسة عند اليهود ، الأمر الذى صححه السيد المسيح . فعرفن فى العهد القديم أربعة نبيات هن مريم قائدة النساء فى التسبيح (خر ١٥ : ٢٠) ، ودبورة النبية وقاضية إسرائيل (قض ٤ : ٤) ، وخلدة النبية فى أيام يوشيا (٢ مل ٢٢ : ٤) ، ونوعدية النبية فى أيام نحميا (نح ٦ : ١٤) ، يضاف إليهن حنة المذكورة فى إنجيل معلمنا لوقا (٢ : ٣٦) ... حقاً لقد تمتعت المرأة بالكثير من الحقوق فى خلال الشريعة الموسوية إن قورنت بمركزها فى العالم فى ذلك الحين ... لكنها بقيت بعيدة عن خدمة المقدسات والعمل التعليمى الكنسى ...إلخ .

أما عند اليونان فقد ضم معبد أفروديت فى كورنثوس ألف كاهنة كن يعرضن أجسادهن على المتعبدين كنوع من العبادة ، وضم معبد ديانا بأفسس مئات من الكاهنات الشريرات .

إن كانت الكنيسة المسيحية قد رفعت من شأن المرأة وأعطتها الكثير من الحقوق لكن لم يسمح لهن بالتعليم العام حيث يوجد الرجال حتى لا يُساء الفهم .

لقد رفع السيد من شأن المرأة ، فتقرأ فى الإنجيل المقدس أن بعض النساء كن يسرن وراء السيد وتلاميذه الاثنى عشر أثناء كرازته ، وكن يخدمنه من أموالهن الخاصة (لو٨ : ١ - ٣) ، وذكرت أسماء بعضهن أيضاً اللواتى رافقن إياه حتى الصليب (مت ٢٧ : ٥٦ ، ٦١ ، ٢٨ : ١) ، وكانت النساء أول من بشر بقيامة السيد للتلاميذ (لو ٢٤ : ١٠ ، ١١) .

وفى العصر الرسولى مع بدء انطلاق الكنيسة كانت النساء من بينهن القديسة مريم يواظبن على الصلاة والطلبة مع التلاميذ (أع ١ : ١٤) ، و يروى لنا لوقا البشير فى سفر الأعمال الدور الايجابى لطبيثا فى خدمة الفقراء والأرامل (أع ٩ : ٣٦) ، وفى التحيات الطويلة فى رسائل معلمنا بولس الرسول نتلمس دور كثير من النساء فى العمل الكنسى الكرازى ، اللواتى لم يكن أقل غيرة من الرجال فى نشر كلمة الإنجيل . يتحدث الرسول عن فيبى شماسة كنخريا (رو ١٦ : ١ ، ٢) التى كانت تخدم الغرباء والمسافرين « اضافة الغرباء » كما فتحت بيتها للاجتماعات الدينية . و يتحدث عن « بريسكلا وأكيلا » ، أنهما « عاملان معه » فى المسيح يسوع (رو ١٦ : ٣) ، والعجيب أنه يذكر إسم الزوجة قبل الزوج على خلاف العادات المتبعة فى ذلك الوقت ، لعلها كانت أكثر غيرة من زوجها ، كما كان لها أثرها مع زوجها على أبولس فى تصحيح إيمانه كما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** و يتحدث أيضاً عن أخريات كثيرات يذكرهن بالإسم أنهن عاملات بقوة . وفى سفر الأعمال نسمع عن أربع بنات لفيلبس الإنجيلى كن يتنبأن (أع ٢١ : ٩) ، وردت أسماؤهن فى مخطوط يرجع للقرن الرابع : هيرموان وكاريتينا وإيريس وأوطاخيانا [٧٦] . هذا بخلاف خدمة الأرامل والعذارى التى نتكلم عنها فى موضعها إن أذن الرب .

إذن لم تجحف الكنيسة المسيحية منذ بدء انطلاقها حق المرأة ، فلماذا رفضت قيامها بدور تعليمى وسط الرجال ؟

يمكننا إدراك كلمات الرسول بولس إن عرفنا الفكر الغنوسى الذى كان يتسرب إلى الكنيسة منذ العصر الرسولى . لقد كان المجتمع فى العصر الرسولى يضع فوارق بين الرجل والمرأة بصورة قاسية على المرأة حتى تجاهلت القوانين المدنية والجنائية حقوقها الإنسانية . لكن جاءت المسيحية لتعلن : « ليس ذكر ولا أنثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع

« غلا ٣ : ٢٨) . أما الغنوسيون ، فإذ هم يحتقرون الجسد ويحسبونه عنصر ظلمة يجب معاداته والتخلص منه فرفضوا كل ما يخصه : رفضوا الزواج كأمر دنس ، وبعض الأطعمة كقوت للجسد ، كما رفضوا قيامة الجسد فى اليوم الأخير ، وأخيراً رفضوا الاعتراف بالتمايز الجنسى ، فلا رجل ولا إمرأة وإنما الإنسان هو كائن له مواهبه التى لا ترتبط برجولته أو أنوثته . بمعنى آخر أرادوا أن يحيا المجتمع دون وجود أدنى اعتبار للرجولة أو الانوثة ! هذا الأمر أثار الكنيسة لتعلن أنه ليس رجل أو امرأة فى المسيح كأعضاء فى جسده المقدس ، لكن دون تجاهل لدور الرجل كرجل والمرأة كامرأة . لذلك حينما تحدث الرسول بولس عن التزام المرأة بغطاء الرأس والرجل بتعرية رأسه (١ كو ١١ : ٤ - ٥) لم يكن الرسول الملتهب روحياً - على ما يظن الكثيرون - بالإنسان الذى يهتم بهذا الأمر فى حرفيته إنما أراد أن يؤكد أنه مع مساواة الرجل بالمرأة فى المسيح لكن الخلاص أو العضوية فى جسد المسيح أو الدخول فى الحياة الجديدة لم ينزع عن المرأة أنوثتها ولا عن الرجل رجولته . كل له دوره الحىّ والفعّال فى الحياة الكنسية بروح الحب المتكامل .

نستطيع أن نقول بأن الرسول بولس الذى كان منفتح القلب والفكر لم يقصد بحديثه هنا عن صمت المرأة فى الكنيسة وعدم تعليمها للرجل وعن خضوعها له أن يحقّر من شأنها أو يقلل من دورها ، إنما أرادها أن تعمل فيما يناسب طبيعتها كإمرأة وامكانياتها الجسدية والنفسية . فالجسد فى خضوعه للرأس لا يعنى أفضلية الرأس عليه أو احتقار الجسد ، لأنه لا كيان للرأس منفصلاً عن الجسد ، ولا عمل له بدونه . حقاً إن الرأس هو المدبر للجسد ، لكن إن لم يتجاوب أحدهما مع الآخر يفقد الإثنان سلامهما وكيانهما . لا ينكر الرسول بولس دور لوئيس وأفنيكى فى حياة تيموثاوس وتعليمه الكتب المقدسة (٢ تى ٣ : ١٥) ولا تجاهل بر يسكلا مع رجلها فى خدمتها الفردية مع كثيرين وفى بلاد مختلفة ، هذان اللذان قادا أبولس إلى معرفة الحق (أع ١٨ : ٢٦) ، وقد جاهدت أفودية وسنتيخى فى الإنجيل (فى ٤ : ٢ ، ٣) .

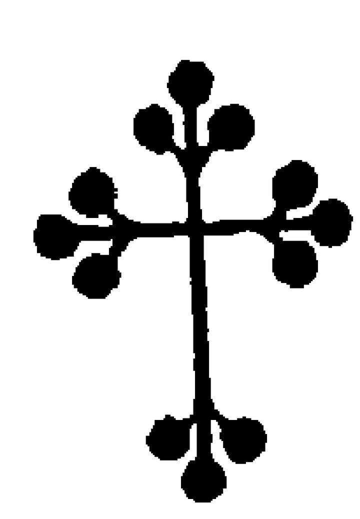
لعل الرسول أيضاً أراد بهذا المنع ينزع كل مجال للعثرة فى الكنيسة لكن دون تجاهل لدورها التعليمى على المستوى العائلى والفردى وأيضاً بين النساء .

يمكننا أن نتكشف مفهوم الرسول بولس مما كتبه **العلامة ترتليان** مهاجماً المراطقة ، قبل أن يسقط فى بدعة مانى ، إذ يقول : « يا لنساء هؤلاء الهراطقة ، إنهن Wanton !

إنهن جسورات حتى إنهن يعلمن و يناقشن ويخرجن شياطين و يقمن بأشفية – ألعلهن أيضاً يعمدن ؟! (٧٧) » . وحتى بعد انحرافه فى المراطقة لم ينحرف **العلامة ترتليان** عن الوصية الرسولية ، بالرغم من اقتباسه بعض تعاليم للنبتيين ماكسميلا و بر يسكلا (٧٨) ، إذ يقول « لا يُسمح للمرأة أن تتكلم فى الكنيسة (١ كو ١٤ : ٣٤ : ٣٥) ، ولا أن تعلم أو تعمد أو تنسب لنفسها عملاً خاصاً بالرجل من كل الأعمال الكهنوتية (٧٩) » . هنا يظهر **العلامة ترتليان** أن الامتناع يقدم على أساس أنه لا يناسب طبيعتها كامرأة ، وليس تحقيراً من شأنها . لكن ترتليان عاد فتأثر قليلاً بالفكر الهرطوقى فسمح لها بالعمل النبوى (٨٠) .

أخيراً ، ماذا يقصد الرسول بولس بقوله : « **لكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل** » (ع ١٥ ؟) يرى البعض أن القديسة مريم قدمت للنساء كرامة عظيمة إذ أنجبت لنا المخلص . و يرى آخرون أن النساء وإن كن قد حرمن من التعليم العام فى الكنيسة فى وجود الرجال ، لكنهن ينلن اكليلهن خلال تربية أولادهن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل ، الأمر الذى لا يستطيع الرجال القيام به ... إنهن **بحق يقدمن** للكنيسة أعضاء قيادية مباركة !





الأصحاح الثالث

سمات الرعاة وواجباتهم

بعد أن تحدث عن العبادة الكنسية العامة مركزاً على الصلاة من اجل الجميع حتى الوثنيين كما قدم السيد نفسه فدية عن الكل ، مشتاقاً أن يدخل بالكل إلى خلاصه ، موصياً إيانا أن نكون رجالاً روحيين نبسط أيادى مقدسة طاهرة تسند صلواتنا بالعمل الروحى ، وأن تكون نفوسنا كامرأة مز ينة لعر يسها بالمجد الداخلى عوض الز ينة الخارجية ، يتحدث الآن عن الرعاة أنفسهم :

١ – سمات الأسقف	١ – ٧ .
٢ – سمات الشماس	٨ – ١٣ .
٣ – نظرة الراعي للكنيسة	١٤ – ١٦ .

١ – سمات الأسقف :

« صادقة هى الكلمة إن أبتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملاً حسناً » (ع ١). شهوة الأسقفية ليست شهوة للسلطة والكرامة ، وإنما هى شهوة غسل أقدام الآخر ين و بذل الذات من أجل كل أحد فى المسيح يسوع . فى الكنيسة الأولى كان الأسقف هو الأب الذى يتعرض للاضطهادت والعذابات والنفى من أجل الدخول بالبشر ية إلى الحياة الإيمانية الحية ، وحتى فى فترات الهدوء النسبي لم يكن يشعر الأسقف أنه صاحب الكرامة والسلطان بالرغم من محبة أولاده له ، إنما يشعر بالحرى بالتزامه الأبوى نحو كل أحد . يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم :** « إن كان لأحد هذه الرغبة فلا يشتهى السيطرة والسلطة وإنما يرغب فى حماية الكنيسة (روحياً) ، فأنا لا ألومه . فإنه حتى موسى إشتهى الوظيفة لا السلطة ، فعرضته شهوته للتوبيخ الساخر : « من أقامك رئيساً وقاضياً علينا ؟! » (أع ٧ : ٢٧ ، خر ٢ : ١٤) . من يشتهى هذه الوظيفة بهذه الكيفية فليشتهيها ، لأن الأسقفية دعيت هكذا (ابسكو بوس) بكونها « نظارة » على الكل [٨١] .

يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم فى شيء من التفصيل عن « شهوة الأسقفية » ، موضحاً الفرق بين شهوة الخدمة الباذلة ونوال الرتبة للسلطة ، إذ يقول فى كتابه « عن الكهنوت » : « هناك صفات كثيرة أخرى يجب أن يتحلى بها الكاهن ، فقبل كل شيء يجب أن يتطهر من شهوة الحصول على هذه الرتبة ، لأنه إن إشتهى هذه الكرامة ، حالما يصل إليها تزداد فيه شهوة حب الكرامة اضطراماً ، حتى إذا استعبد لها يتردى فى شرور كثيرة مثل التملق والمداهنة ويخضع لأمور كثيرة ... وهذا هوسبب المذابح التى عمت الكنائس ، والخراب الذى حل بالمدن ، بسبب التشاحن على الرئاسة . ولا يظن أحد إنى أعارض القديس بولس الرسول حين يقول : « إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملاً صالحاً » ، فإنى لا أقول إن اشتهاء الأسقفية أمر رديء ، لكن الرديء هورغبة التسلط وحب الرئاسة ... (٨٢) » .

أما سمات الأسقف فهى :

أ - بلا لوم : يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : « كل فضيلة إنما تدخل فى هذه الكلمة ، فإن شعر أحد فى نفسه بخطية ما ليس له أن يشتهى العمل الذى لا تؤهله له صفاته . فإن مثل هذا الإنسان يليق به أن يكون تحت التدبير لا أن يدبر الآخرين . فمن يدبر يلزمه أن يكون أكثر بهاءً من أى كوكب منير ، تكون حياته بلا عيب ، يتطلع الكل إليه فيرون فى حياته نموذجاً لهم (٨٣) » . و يقول **الأب غريغوريوس (الكبير) :** « ليعرف الإنسان إذاً قدر نفسه ، حتى لا يتجرأ أحد فيأخذ لنفسه منصب الرعاية بينما لا تزال الرذيلة تسيطر عليه وتتسبب فى إدانته ، فإن الذى أفسدته الآثام لا يجب أن يشفع من أجل أثام غيره (٨٤) » . وقد فسر هذا الأب الكلمات الإلهية لموسى النبى عن الرجل الذى يتقدم ليقرب خبز إلهه ألا يكون فيه عيب (تث ٢١ : ١٧ - ٢١) بطريقة رمزية ، فيها يُستعبد الإنسان الذى يحمل عيباً روحياً من الخدمة الكهنوتية والعمل الرعوى ، إذ يقول الرب : « لأن كل رجل فيه عيب لا يتقدم ، لا رجل أعمى ولا أعرج ولا أفطس ولا زوائدى ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد ولا أحدب ولا أكشم ولا من فى عينه بياض ولا أجرب ولا أكلف ولا مرضوض الخصى » . فالكاهن (أيا كانت درجته) يلزم ألا يكون أعمى بل يرى بهاء التأمل السماوى ، ولا أعرج بل يعرف أن يسير فى طريق الحق ، ولا أفطس إنما قادر على التمييز الروحى ، ولا يكون كالزاوئدى الذى يتدخل فى شئون الآخرين بافراط و يفرضون أنفسهم عليهم ولا مكسور الرجل أو اليد أى عاجز عن

الحركة والعمل... إلخ (٨٥) .

ب - بعل إمرأة واحدة : وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : « لم يضع الرسول هذا الأمر قاعدة بأنه يجب أن يكون له إمرأة واحدة ، وإنما يمنع من أن تكون له أكثر من إمرأة واحدة ، إذ كان يُسمح لليهود بالزواج الثانى (بعد وفاة الأولى أو تطليقها) بل وأن يكون له زوجتان فى وقت واحد (٨٦) » . بمعنى آخر لا يلزم الرسول الأسقف أن يكون متزوجاً لكنه يرفض سيامة من تزوج للمرة الثانية حتى وإن كانت الأولى قد ماتت أو طُلقت . إنه يكتب فى بدء إنطلاق الكنيسة حيث كان تعدد الزوجات مباحاً وشائعاً عند الأمم ، فإن دخل أحدهم الإيمان المسيحى لا يقام أسقفاً إن كان قد سبق فتزوج أكثر من مرة . لقد أراد أن يختار للأسقفية أكثر الناس عفة ونقاوة . أما وقد انفتح باب الرهبنة فقد وجد بيننا بتوليين لذلك صار الأسقف يسام من بين البتوليين .

ج - صاحياً : يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « هذا يعنى أن يكون حذراً ، له آلاف الأعين حوله ، سريع النظر ، أعين ذهنه غير مظلمة (٨٧) » . وكأن الأسقف بكونه الناظر على شعب الله يليق به أن يكون ذا بصيرة متقدة ، صاحياً وواعياً على خلاص نفسه وخلاص إخوته وأولاده الروحيين ، لا تربكه الأمور الأدارية ولا تلهيه المشاكل العامة أو الخاصة عن رسالته الروحية . لذا يفسر **القديس يوحنا الذهبي الفم** هذه السمة ، قائلاً : « يليق به أن يكون ساهراً ، حاراً فى الروح كمن يتنسم ناراً ! يلزمه أن يعمل دوماً مؤدياً واجبه نهاراً وليلاً أكثر من قائد ملتزم نحو جيشه ! يليق به أن يكون حريصاً يهتم بالجميع ! » .

د - عاقلاً : أى رزيناً يتصرف بحكمة وتمييز ، وفى اعتدال ، فلا يكون متطرفاً يميناً أو يساراً ، يعرف كيف يوجه أولاده بحكمة واتزان . يهتم بالأمور الروحية لشعبه دون تجاهل لإحتياجاتهم النفسية والاجتماعية والجسدية ، يوجههم كلاً حسب موهبته الخاصة به وليس حسب ميول الأسقف الشخصية .

فى حديثنا عن الحب الرعوى رأينا التزام الكاهن - أيا كانت درجته - أن يكون حكيماً فى معاملته لأولاده يعرف كيف يعامل الأحداث والشيوخ والفقراء والأغنياء والمتزوجين والبتوليين والودعاء والمتجاسرين... إلخ كلاً حسب ظروفه وامكانياته حتى لا يفقد أحداً ولا يدلل أحداً (٨٨) .

هـ - محتشماً : يليق بالكاهن أن يكون محتشماً فى ملبسه كما فى تصرفاته وكلماته. فالاحتشام صفة تمس القلب فى الداخل وتنعكس على كل الأحاسيس والتصرفات ، وقد سبق لنا الحديث فى هذا الأمر (٨٩) . من أمثلة الإحتشام عدم استخدام الفكاهات غير اللائقة ، والهزل المفسد للنفس ، وعدم اعطاء اهتمام خاص ببعض النساء أو الفتيات ... إلخ .

و - مضيفاً للغرباء : استضافة الغرباء علامة إتساع القلب بالحب العملى ، لهذا يمدح الرسول أهل رومية ، قائلاً : « مشتركين فى احتياجات القديسين ، عاكفين على إضافة الغرباء » (رو ١٢ : ١٣) ، كما يقول فى الرسالة إلى العبرانيين : « لا تنسوا إضافة الغرباء ، لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون » (عب ١٣ : ٢) . فمن لا يختبر الحب العملى قبل سيامته كيف يقدر أن يقدم حياته بالحب عن شعبه خلال أسقفيته ؟! .

فى الكنيسة الأولى كان المؤمنون والخدام يجولون كثيراً بسبب الإضطهاد ، لذا كانوا ينزلون على بيوت المؤمنين ، خاصة بيت الأسقف . لهذا يقول **هرماس** فى كتابه « الراعى » : « يجب أن يكون الأسقف مضيفاً للغرباء ، يرحب بسرور وفى كل وقت بخدام الله القادمون إلى بيته » .

ز - صالحاً للتعليم : لا يكفى أن يكون الأسقف بلا عيب ، ذا معرفة روحية مستقيمة وغيرة متقدة ، إنما يلزم أن تكون له موهبة التعليم ، الأمر الذى لا يتوفر فى الكثيرين . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم :** « هذه ليست مطلوبة فيمن هم تحت التدبير ، لكنها أساسية فيمن يعهد إليه أمر التدبير (٩٠) » . وجاء فى **الدسقولية :** « اهتم بالكلام أيها الأسقف ، وإن كنت تقدر أن تفسر ففسر كلام الكتب ، اشبع شعبك وأروه من نور الناموس فيغتنى بكثرة تعاليمك (٩١) » .

ح - غير مدمن الخمر : كانت المسكرات ممنوعة على كهنة اليهود مدة خدمتهم (لا ١ : ٩) ، هكذا يليق بالأسقف المسيحى ألا يكون محباً للمسكرات علامة شبعه بالخمر الروحى الحقيق ، خمر الروح القدس المفرح للنفس .

يعلق **القديس چيروم** على العبارة الرسولية قائلاً : « الانغماس فى الخمر هو من أخطاء الشرهين والمترفهين ، فعندما يسخن الجسد بالخمر للحال تثور فيه الشهوة . فشرب الخمر معناه التساهل مع النفس ، وهذا يعنى التنعم الحسى . والتنعم الحسى يعنى كسر

العفة . فالإنسان الذى يعيش متنعماً يكون ميتاً وهو حيّ (١ تى ٥ : ٦) . وأما الذى يشرب الخمر فلا يكون ميتاً بل مدفوناً . إن ساعة واحدة من الخلاعة جعلت نوح يتعرى بعدما أستتر ستين عاماً بوقار (تك ٩ : ٢٠ ، ٢١) (٩٢) » .

ط – غير ضرّاب : فى العهد القديم إضطر نحميا فى غيرته المقدسة أن يضرب المتزوجين بوثنيات أجنبيات ، إذ يقول : « فخاصمتهم ... وضربت منهم أناساً » نح ١٣ : ٢٥) . لكن المسيحية تطلب التقديس الداخلى للنفس فلا تستخدم وسائل العنف ، حتى يتحقق الاصلاح الداخلى بكامل حرية الإنسان ، وقد أمرت القوانين الرسولية بتجديد الأسقف أو الكاهن أو الشماس الذى يضرب مؤمناً عندما يخطىء . وقد استبعد **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن يوجد أسقف يفعل مثل هذه الحماقة التى لا تليق به ، لهذا يرى فى كلمات الرسول أنها لا تعنى المفهوم الحرفى بل الرمزى ، قائلاً : « هذه لا تعنى أنه ضرّاب بيديه ... فإن البعض يضرب ضمير الإخوة ، هذا ما يبدو لى أن الرسول يقصده (٩٣) » .

ى – غير طامع بالربح القبيح ولا محب للمال : إن ارتبط قلب الإنسان بالربح ولو كان قليلاً ، إن كان محباً للمال ، فإنه إذ يتسلم قيادة شعب لا يطلب ما لهم على حساب نفسه ، أى لا يكون باذلاً يعرف أن ينفق كل ماله و يبذل حياته عنهم ، إنما يطلب ما لنفسه ، فيفسد كنيسة الله و يغتنمها لحسابه الخاص .

ك – حليماً ، غير مخاصم : يحمل روح سيده الذى « لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته » (مت ١٢ : ١٩) . بالحلم والوداعة يملك السيد المسيح على القلوب ، هكذا يليق بالأسقف أن يعيش بروح سيده ليقدم لشعب الله صورة حية للملك الوديع الذى يغلب الشر بالخير ، و يقتل كل خصام بالحب !

ل – يدبر بيته حسناً : له أولاد فى الخضوع بكل وقار ، وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته ، فكيف يعتنى بكنيسة الله ؟! من لا يعرف أن يدبر كنيسة بيته الصغيرة والتى تخضع له حسب قانون الطبيعة ، تسنده فى ذلك القوانين الوضعية والكنسية ، فكيف يقدر أن يتسلم قيادة الكنيسة التى لا تُلزم القوانين أعضاءها بالخضوع له إلا خلال سلطان الحب الروحى والإيمان ؟! .

إن كان الأسقف يُختار من بين البتوليين ، فإنه يلزم أن يكون له أولاد فى الخضوع فى الروح . فمن لا يعرف أن يقتنى له فى المسيح أولاداً خلال الإنجيل قبل سيامته ، كيف يقدر

أن يربح أولاداً لله وسط مسئوليات الأسقفية الضخمة ؟! .

م - غير حديث الإيمان : لئلا يتصلف ، فيسقط فى دينونة إبليس (ع ٦) . لم يقل غير حديث السن بل « غير حديث الإيمان » ، فإن القديس تيموثاوس كان حديث السن لكنه ناضج فى الإيمان . حداثة الإيمان ربما تحمل غيرة متقدة نحو الخدمة ، لكنها تحمل خطر الاعتداد بالذات والتصلف ، فيخسر الإنسان نفسه بالكبرياء ويهلك من هم تحت تدبيره .

ن - له شهادة من الذين فى الخارج : « ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط فى تعيير وفخ إبليس » (ع ٧) . قد يشهد المؤمنون لعضو من بينهم شهادة حسنة ، لكن شهادة الأمم له هى ختم لهذه الشهادة ، فإن النور لا يستطيع أحد أن ينكره حتى إن كان يرفضه ، والحياة الصالحة مشهود لها حتى من الأعداء . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم :** « حسن للصالحين أن يكون لهم صيت حسن لدى أعدائهم ... لماذا لم يتكلم أحد ضد الرسل مدعياً أنهم زناة أو دنسون أو طماعون أو مخادعون ، وإنما كانوا ضد كرازتهم فقط ؟! أليس لأن حياتهم بلا غبار ؟! لقد كان ذلك واضحاً ! فلنحيا إذن هكذا فلا يقدر عدو أو غير مؤمن أن ينطق بالشر ضدنا ، فمن كانت حياته فاضلة يكرمه حتى هؤلاء . إن الحق يغلق أفواه الأعداء ... كما لا يستطيع أحد أن يقول عن الشمس أنها مظلمة حتى وإن كان أعمى ، إذ يخجل ويخشى أن يلومه الكل ، هكذا من كان صلاحه واضحاً لا يلومه أحد [٩٤] » . يقول **القديس جيروم** « يلزم أن يكون الأسقف المسيحى هكذا : أن الذين يكابرون معه فى العقيدة لا يقدرون أن يكابروا فى حياته [٩٥] » .

٢ - سمات الشماس :

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم :** « لقد ناقش ما يخص الأساقفة ووصف سماتهم والمؤهلات التى يلزم توافرها فيهم ، عابراً على الكهنة ليتحدث عن الشمامسة . أما سبب عدم حديثه عنهم فهو عدم وجود فارق كبير بين الأساقفة والكهنة ، فالكل يتعهد بوظيفة التعليم والرئاسة فى الكنيسة ، فما يقوله عن الأساقفة ينطبق على الكهنة ، وإنما يمتازون عنهم بسلطان السيامة ، و يبدو أنه لم يكن لهم أية ميزة أخرى [٩٦] » .

أما سمات الشماس فهى :

أ - أن يكونوا ذوى وقار : « كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوى وقار» (ع ٨) و يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم قائلاً : « هذا يعنى أنه يجب أن تكون لهم ذات سمات الأساقفة . ما هى هذه السمات ؟ أن يكونوا بلا عيب ، وقور ين ، محبين لأستضافة الغرباء ، صبور ين ، غير مخاصمين ولا طماعين . يظهر ذلك من قوله « كذلك » ، و يوضحه بقوله « يكونوا ذوى وقار لا ذوى لسانين » أى غير فارغين ولا مخادعين . فإنه ليس من شىء يحط من شأن الإنسان مثل الخداع ، وليس ما يضر الكنيسة مثل عدم الاخلاص (٩٧) » .

ب - غير مولعين بالخمر الكثير ولا طامعين بالربح القبيح، ولهم سر الإيمان بضمير طاهر (ع ٩) . إنها ذات السمات التى سبق لنا الحديث عنا بخصوص الأساقفة . فإنه مع وجود اختلاف كبير فى الدرجة الكهنوتية والمسئولية لكن كعاملين معاً فى كرم واحد يلزم أن يحملوا السمات التى تليق بصاحب الكرم ، و يكون لهم روحه القدوس الواحد . وكما يقول الرسول بولس : « فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد ، وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد ، وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل » (١ كو١٢ : ٤ - ٧) .

هذا و يلاحظ أن الأسقف يُختبر أولاً بكونه قد مارس العمل الكنسى فى درجة كهنوتية أقل ، أما الشماس وهو ينال أول درجة كهنوتية فإنه لا يتمتع بها قبل اختياره ، لذلك يؤكد الرسول : **« وإنما هؤلاء أيضاً ليختبروا أولاً » .**

ج - يكمل الرسول حديثه قائلاً : « كذلك يجب أن تكون النساء ذوات وقار غير ثالبات ، صاحيات ، أمينات فى كل شىء » (ع ١١) . و يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الحديث هنا لا يخص النساء بوجه عام وإنما يخص « الشماسات » ، إذ يقول : « ليُفهم هذا عن الشماسات ، فإن نظام الشماسات ضرورى ونافع ومكرم فى الكنيسة » . و يرى البعض أن الحديث هنا عن زوجات الشمامسة .

د - « ليكن الشمامسة كل بعل إمرأة واحدة ، مدبر ين أولادهم وبيوتهم حسناً » (ع ١٢) . و يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم هكذا : « أنظر كيف يطلب فى الشمامسة ذات فضائل الأساقفة ، وإن كانوا ليسوا فى درجة مساو ية لهم ، لكن يلزم أن

يكونوا (مثلهم) بلا لوم وطاهرين ، مدبرين أولادهم وبيوتهم حسناً (٩٨) » .

يختم الرسول حديثه عن الشمامسة بقوله : « **لأن الذين تشمسوا حسناً يقتنون لأنفسهم درجة حسنة وثقة كثيرة فى الإيمان الذى بالمسيح يسوع** » **(ع ١٣)**. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « كأنه يقول من يوجد صاحباً فى الدرجة الأقل يرتفع إلى درجة أعلى » ، أى ينتقل من درجة الشموسية إلى القسيسية .

٣ - نظرة الراعى إلى الكنيسة :

« **هذا أكتبه إليك راجياً أن آتى إليك عن قريب ، ولكن إن كنت أبطىء فلكى تعلم كيف يجب أن تتصرف فى بيت الله الذى هو كنيسة الله الحى عمود الحق وقاعدته** » **(ع ١٤)**. ربما خشى الرسول أن يُصاب القديس تيموثاوس بشىء من الضيق فقد وعده بالحضور إليه ، لذلك يؤكد له أنه سيحضر فإن تأخر فلا يكتئب ، فإن الروح القدس يسمح بهذا لأجل البنيان . إنها فرصة نادرة للقديس تيموثاوس أن يبذل جهوداً أعظم كخادم لكنيسة الله الحىّ ، عمود الحق وقاعدته فينال إكليلاً أعظم . غياب الرسول بولس لا يكون بالنسبة له سر تحطيم أو تعب وإنما فرصة عمل أكثر وجهوداً أعظم كخادم السيد المسيح » .

لقد وجد الرسول فرصة ليكشف للقديس تيموثاوس كأسقف الكنيسة عن مفهوم الكنيسة التى يرعاها ، إذ يقول له : « **وبالاجماع عظيم هو سر التقوى : الله ظهر فى الجسد ، تبرر فى الروح ، تراءى لملائكة ، كرز به بين الأمم ، أومن به فى العالم ، رفع فى المجد** » **(ع ١٦)**.

ما هى كنيسة المسيح التى يرعاها الأساقفة ويخدم فيها الشمامسة ؟ .

أ - عمود الحق وقاعدته : يرى القديس بولس الكنيسة كلها كجماعة المؤمنين يقومون على الحق كعمود يرتكزون عليه وكقاعدة بدونه ينهار كل البنيان . فإن كان الغنوسيون يهتمون بالمعرفة كأساس للخلاص فإن الرسول يرى فى الكنيسة أولاً وقبل كل شىء دخول إلى الحق ، لكنه الحق المجانى الذى يقدمه الله للجميع ولا يخصه بفئة دون أخرى .

الكنيسة هى العمود الذى أقامه أبونا يعقوب وصب زيتاً على رأسه (تك ٢٨ : ١٨)

علامة تكريسه للرب بالروح القدس . إنها عمود الدخان الصاعد من البرية المعطر بالمر واللبان وبكل أذرة التاجر (نش ٣ : ٦) ، ترتفع خلال دخان الذبيحة الذى لا يفسد العينين بل يفتحها لرؤية الحق السماوى ، معطرة بآلام عريسها (المر) ورائحته الذكية (اللبان) .

هذه هى رؤية الراعى الحقيق لكنيسة المسيح ، وكما يقول **القديس چيروم** : « لا تضم الكنيسة حوائط (ومبانى) وإنما تضم حقائق تعاليمها . هى الإيمان الحق ! فى الحقيقة كانت المبانى الكنسية منذ ١٥ أو ٢٠ عاماً فى أيدى الهراطقة بأكملها ، لكن الكنيسة الحقيقية كانت قائمة حيث يوجد الإيمان الحق (٩٩) » . بمعنى آخر الكنيسة بكونها الإيمان الحق لا يمكن تغلب مهما كانت الظروف المحيطة بالمؤمنين !

ب - تمتع بسر التقوى : ليست الكنيسة هى مجرد معرفة عقلية للحق كما تخيل الغنوسيون ، وإنما هى دخول عملى إلى الحق خلال الحياة التقوية التى صارت لنا بالتجسد الإلهى . لذا يقول الرسول : « **عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر فى الجسد** » .

إن كانت الكنيسة هى عمود الحق المرتكز على ذبيحة السيد المسيح الفريدة والمقبولة لدى الآب رائحة رضا ، إنما هذا الحق يتحقق خلال تجسد كلمة الله كطريق لتقديم الذبيحة وقبول الصليب ، وباب لدخولنا إلى الحياة الجديدة باتحادنا مع الله الآب فى إبنه . لقد حل بيننا وحمل طبيعتنا حتى نوجد نحن فيه ، ننعم بحياته وسماته وشركة أمجاده ! هذا هو الحق العملى الذى قدم لنا خلال الإنجيل فى ربنا يسوع المسيح .

لقد أنكر الغنوسيون حقيقة التجسد برفضهم أن السيد يحمل جسداً حقيقياً ، بهذا ينكرون الحياة التقوية التى صارت لنا فيه ، ويحولون الحق إلى معرفة نظرية عقلانية بلا روح ولا حياة ! بمعنى آخر ، التجسد الإلهى ليس عقيدة فلسفية تعتنقها الكنيسة للمجادلة وإنما هى سّر حياتها التقوية وأمجادها الداخلية ! .

ج - تبرر فى الروح : ما هى الكنيسة إلا قبول الروح القدس الذى وهبه لنا الله ، هذا الذى يدخل بنا إلى الثبوت فى المسيح يسوع ربنا لا لنغتسل بدمه الكريم من خطايانا فحسب ، إنما نحمل برّ المسيح فينا فنحسب فى عينى الآب أبراراً . بقول الرسول : « لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا » (١ كو ٦ : ١١) . إن كانت الكنيسة فى جوهرها هى ثبوت فى المسيح ، كأعضاء جسده ، فإن هذه العطية تحمل

من الجانب الآخر إنطلاقها بالروح القدس إلى حضن الآب متبررة بالدم الكريم ، حاملة سمات عريسها ورأسها ! .

د - تراءى لملائكة : انطلاق الكنيسة بالروح النارى ، لتحيا ببر المسيح فى حضن الآب ، يجعل منها فى الحقيقة « حياة سماوية » وتمتع بالطبيعة الملائكية ، فتنعم برؤية الله ، حيث يصير أعضاؤها أشبه بملائكة يُعلن لهم الله غير المنظور ! بمعنى آخر ، الكنيسة فى العهد الجديد إنما هى تجلى الإبن الوحيد الجنس فى وسط المؤمنين كملائكة ينعمون بحضرته ورؤيته و ينعمون بسماته .

ربما يقصد الرسول بقوله « تراءى لملائكة » أن الملائكة الذين كانوا يرونه قبل التجسد قد أدركوه بمفهوم جديد خلال تجسده فى كنيسته ، رأوه فى كمال حبه الفائق خلال الصليب ، وعمله الإلهى العجيب فى المؤمنين الذين كانوا قبلاً خطاة وأعداء ، وقد تقدسوا فيه وتبرروا وصاروا أبناء أحباء وممجدين فيه ! .

هـ - كرز به بين الأمم : إن كانت الكنيسة هى عمود الحق وقاعدته الذى يهب لنا سّر التقوى فى المسيح يسوع ، و ينطلق بنا بالروح القدس لنحيا ببر المسيح ، ونشارك الملائكة طبيعتهم ، فإن هذا كله إنما يقدم لكل البشرية خلال الكرازة بالمسّيا المخلص بين الأمم ، فينعم الكل بهذه النعم الإلهية بلا تمييز ولا محاباة لأمة على حساب أمة أو جنس على حساب آخر. وكما يقول المرتل : « إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم » مز ٤٩ : ٤) . أما غاية هذه الكرازة فهى رفع البشرية إلى المجد السماوى .

فى اختصار نقول إن الراعى الحقيقى يرى فى الكنيسة تمتعاً بالحق العملى خلال سّر التجسد الإلهى ، ودخولاً إلى الحياة التقوية فى المسيح يسوع ، وتبريراً فى الروح ، وشركة مع الملائكة ، هى سّر انفتاح البشرية كلها على الإيمان الجامع للدخول إلى المجد العلوى ، فيحيا الكل فى الأحضان السماوية .

بأسلوب آخر يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذا النص ، قائلاً : « حقاً عظيم هو السر : الله صار إنساناً ، والإنسان إلهاً ، صار الإنسان يُرى بلا خطية ! صار (الإله المتأنس) مقبولاً فى العالم ، ومكروزاً به ! يراه الملائكة معنا ! هذا بحق هو سرّ ! ليتنا لا نحتقره ... بل نحيا كما يليق بهذا السر (١٠٠) ! » .

* * *

الأصحاح الرابع

جهاد الرعاة

بعد أن تحدث الرسول بولس مع تلميذه تيموثاوس عن الوصية كغاية الرعاية (ص ١)، موضحاً بعض المفاهيم الخاصة بالعبادة الكنسية الجماعية (ص ٢)، تحدث عن سمات الرعاة والخدام، والآن يحدثه عن الإلتزام بالجهاد الروحى حتى يدخل بالكل إلى الحياة الكنسية، أى إلى الاتحاد مع الله فى المسيح يسوع والتمتع بالتبرير فى الروح والشركة مع السمائيين، والدخول إلى الأمجاد الإلهية ... إنه عمل روحى شاق، يتطلب أن يكون الراعى واعياً وصاحياً ضد كل هرطقة، ومثابراً فى كل جهاد روحى، لهذا يتكلم هنا عن :

١ - الارتداد عن الإيمان	١ - ١١ .
٢ - وصايا للراعى	١٢ - ١٦ .

* * *

١ - الارتداد عن الإيمان :

« ولكن الروح يقول صريحاً أنه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة، فى رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم، مانعين عن الزواج، وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفى الحق » (ع ١ - ٣) .

لقد نادى الهراطقة - أصحاب الميول الغنوسية - بالامتناع عن الزواج وعدم أكل اللحوم بكونهما أمرين محرمين يدنسان النفس، وقد التزمت الفئة التى كانوا يلقبونها بالكاملين بهذا الامتناع .

أما سر تدنيسهم للزواج فعلّته نظرتهم الخاطئة نحو الجسد كعنصر ظلمة يجب معاداته، وبالتالى فالعلاقات الجسدية بين الرجل وامرأته - فى نظرهم - تأكيد لمتطلبات الجسد الدنس، فهى دنسة ومحرمة على الكاملين . على العكس، فى مفهومنا المسيحى، الجسد هو

خليقة الله الصالحة والمقدسة ، إن كانت بسبب خطايانا قد مالت إلى الشهوات الشريرة لكن بقبول الإبن الكلمة ناسوتنا قدس جسدنا ، فصرنا ننظر إليه بكل وقار وتكريم . وعليه فإن العلاقات الجسدية بين الرجل والمرأة لا تعنى إشباع شهوات دنيئة ، إنما علامة الحب الداخلي والوحدة بين الطرفين ، حيث يحترم كل الآخر . بمعنى آخر الزواج فى نظر المؤمن الحقيق ليس إشباعاً لشهوات جسده ، لكنه أولاً وقبل كل شيء هو قبول الطرف الآخر كشخص له فكره ومواهبه وقلبه قبل أن يكون له جسده . إنه يتطلع إليه كإنسان ، يحبه ويحترمه و يقدس نظرته إلى جسده ! و يرى بعض اللاهوتيين فى العلاقة الجسدية نظرة إجلال وتقديس بكونها شركة الإنسان مع الله فى إنجاب الأطفال ليكونوا أعضاء فى الجسد المقدس ، أولاداً لله ! .

لقد أفاض الآباء فى الحديث عن قدسية الزواج ، فيقول **القديس أغسطينوس :** «إذ حضر الرب العرس الذى دعى إليه ... أراد تأكيد أن الزواج إنما هو من تأسيسه ... وإن الإتحاد بين الرجل والمرأة من قبل الله ، وأن التطليق من الشيطان (١٠١) » .

ربما يتساءل البعض : لماذا كرّم الرسول بولس البتولية ، مشتهياً أن يكون الكل مثله يعيشون بلا هم ؟ ولماذا قامت الحركات الرهبانية المسيحية ؟

البتولية المسيحية ليست امتناعاً عن الزواج كأمر دنس ، بل هى تمتع بزواج روحى عميق بين النفس وعريسها ، خلاله تريد ألا تنشغل بآخر غيره . الزواج سر مقدس ، يحترمه البتول والراهب والراهبة ، إنما يفضلون البتولية ليس تدنيساً للزواج وإنما انطلاقاً نحو الحياة الملائكية المكرسة للعبادة والخدمة الإلهية . يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم :** «إننا لا نمنع من يرغب فى الزواج لكننا نشجع من لا يرغبون فيه على البتولية . هناك فارق بين المنع وأن يُترك الإنسان يتصرف بكمال حريته . من يمنع يأمر بذلك للجميع ، أما من يوصى بالبتولية كحالة أسمى فإنه لا يمنع الزواج إنما يفضل البتولية (١٠٢) » .

أما بالنسبة للأطعمة فقد تطلع بعض الغنوسيين إلى اللحوم و بعض الأطعمة كعناصر شر لا يليق بالكاملين أن يتناولوها ، أما الكنيسة فلا تمنع أنواعاً من الأطعمة كأمور دنسة أو نجسة إنما تطلب من أولادها الصوم عنها ، فترة من الزمن لضبط الجسد حتى يُعطى للنفس إمكانية السيطرة على الجسد بالروح القدس مقدس النفس والجسد معاً . الصوم هو إنطلاقة روحية أكثر منه نسكاً للجسد . لذا يسمح للمرضى بالإفطار دون تشكك حاسبين المرض نوعاً من الصوم ، يتقبلونه بشكر ! .

هذه هى نظرتنا للمادة ، أياً كانت ، « **خليقة الله جيدة ولا يرفض شىء إذا أخذ مع الشكر لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة » (ع ٤ ، ٥)** . لقد خلق الله كل شىء حسناً (تك ١ : ٣١) ، ليس فى خليقة الله ما هودنس ، لكن إذ سقط الإنسان سيد الخليقة الأرضية فى الخطية تدنست نظرته ، كما دنس بضميره بعض الأشياء باساءة إستخدامها ، كمن يستخدم الحجارة والذهب والفضة فى عبادة الأصنام... إن المادة فى ذاتها صالحة لكن الإنسان دنسها بضميره الشرير ، لذا صار تقديسها مرتبطاً بتقديس طبيعة الإنسان وضميره ونظرته .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على العبارة الرسولية السابقة ، قائلاً : « يقدم الرسول وضعين : الأول ليس شىء من خليقة الله دنساً ، والثانى إن كان شىء ما قد صار دنساً فالعلاج هوأن يختم (يرشم بعلامة الصليب) مع الشكر لله وتقديم المجد له ، فينزع عنه كل دنس (١٠٣) » . و يقول **القديس أغسطينوس** : « كل الأشياء الموجودة صالحة لأن خالق هذه جميعها هو كلى الصلاح (١٠٤) » .

ركز الرسول بولس على أمور ثلاث كسّر للتقديس : حياة الشكر ، وكلمة الله ، والصلاة . هذه الأمور تُقدم بصورة فائقة وفريدة فى الأفخارستيا ، حيث تنطلق الكنيسة بالروح القدس نحو الآب السماوى لتقدم له الشكر خلال ذبيحة إبنه الفريدة ، أى ذبيحة كلمة الله المتجسد... فيتقبل الآب من الكنيسة حياتها كحياة شكر ، وكحياة إنجيلية (كلمة الله) ، وحياة صلاة مقبولة لديه ، لهذا يقدم لها ينبوع تقديس بلا حدود ، خلاله ليس فقط يقدس أرواحهم وأجسادهم فحسب وإنما يقدس أيضاً المادة على أعلى مستوى ، حيث يتحول الخبز والخمر إلى جسد السيد ودمه الأقدسين ! .

هذا هو التعليم الصحيح الذى نشأ عليه القديس تيموثاوس ، أن كل خليقة الله صالحة ، وأن ما قد دنسه الإنسان يتقدس بالشكر والكلمة الإلهية والصلاة . لذلك يقول الرسول له : « **إن فكرت الإخوة بهذا تكون خادماً صالحاً ليسوع المسيح متربياً بكلام الإيمان والتعليم الحسن الذى تتبعه » (ع ٦)** . لقد تربى تيموثاوس على الإيمان المستقيم بعيداً عن الأضاليل ، وها هوملتزم أن يفكر الإخوة بهذا الإيمان . هنا يقول « إن فكرت الإخوة » ولا يقل إن « أمرت الإخوة بهذا » ، فإن الراعى الصالح هو الذى لا يأمر و ينهى كثيراً كمن هومتعالى على المخدومين إنما يتحدث معهم كمن يذكر إخوته .

بعد أن تحدث عن الجانب الإيجابى وهو تربية تيموثاوس على الإيمان الحق والتعليم المستقيم والتزامه بتذكير شعب الله بذلك ، تعرض للجانب السلبى ، إذ يقول : « **وأما الخرافات الدنسة العجائزية فارفضها** » (ع ٧) .

يليق بالراعى ألا يفسد وقته وفكره بالأمور المضللة ، إنما يهتم بترويض حياته وحياة شعبه على الحياة التقوية أو الرياضة الروحية القائمة على أساس الإيمان المستقيم . « **وروض نفسك للتقوى ، لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ، ولكن التقوى نافعة لكل شيء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة** » (ع ٨) . كأن الراعى ملتزم أن يكون فى كل وقته ملتهباً بنار الروح القدس لبنيان كنيسة الله فى حياته الخاصه أو عمله بين شعب الله .

ماذا يقصد بالخرافات الدنسة العجائزية ؟ ربما ذات الأفكار الغنوسية السابق الحديث عنها ، وهى أفكار ذات أصل وثنى قد شاخت لكنها تتسلل تحت ستار « المعرفة » إلى بعض المسيحيين . إنها أفكار دنسة شائخه تحاول أن تلبس صورة جديدة خلال الهراطقة لهدم الإيمان المستقيم . و يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن هذه الخرافات إنما تمثل بعض الأفكار الخاصة بالعودة إلى التهود ، وهى أفكار باطلة لا تحمل قوة كلمة الله الروحية بل حرفية قاتلة . دعاها عجائزية لأنها قد صارت قديمة وشاخت ، ولم تعد تناسب الحياة الجديدة التى لنا فى المسيح يسوع ربنا ، و يرى القديس إن العودة إليها إنما كعودة الرجل الناضج إلى الرضاعة فلا ينتفع شيئاً بل يصيبه ضرراً .

يليق بالإنسان الروحى وقد ارتقى من الطفولة غير الناضجة حتى بلغ الرجولة ألا يعود إلى حرفية الناموس بل يروض نفسه كرجل على الرياضة الروحية التى هى أفضل من الرياضة الجسدية .

ماذا يقصد الرسول بالرياضة الجسدية ؟

يرى البعض أنها التداريب الخاصة بالصوم والزهد الشديد (بغير روح) فإنها قد تنفع الجسد لكنها لا تفيد النفس ما لم ترتبط بالروح (الصلاة والحب ... إلخ) . غير أن **القديس يوحنا الذهبى الفم** يرفض هذا الرأى إذ يرى أن الرياضة الجسدية هى الألعاب الأولمبية التى كانت منتشرة لدى اليونان . إنها نافعة للجسد إلى حين ، أما الرياضة التقوية فتسند النفس والجسد معاً . إنه يقول : « يرى البعض أن الرسول يشير هنا إلى الصوم ، لكن هذا

المعنى غبي لائق ، فإن الصوم رياضة روحية لا جسدية . لو كان الصوم رياضة جسدية لكان منعشاً للجسد ، لكنه يجعله هزيلاً ونحيلاً ، لذا فهو ليس رياضة جسدية... (١٠٥) » .

إذ يتحدث الرسول عن الرياضة التقوية يقول : « **صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول ، لأننا لهذا نتعب ونعير، لأننا قد ألقينا رجاءنا على الله الحىّ الذى هو مخلص جميع الناس ولا سيا المؤمنين . أوصِ بهذا وعلم » (ع ٩ - ١١) .**

ما هى الكلمة الصادقة والمستحقة كل قبول ؟ إن الرياضة التقوية الروحية نافعة لكل شيء ، لها المواعيد الحاضرة والمستقبلة (ع ٨) . إنها تدخل بالمؤمن إلى الرجاء فى الله الحىّ فينال البركات الحاضرة والمستقبلة ، أو كما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم :** « من يدرك فى نفسه أنه بلا شر (أى غفرت له خطاياه وشروره) يكون له ثمر صالح ، فيفرح هنا أيضاً ، أما الشرير فعلى العكس يعاقب هنا كما يعاقب هناك . إنه يعيش فى حالة خوف دائم ، لا يقدر أن يتطلع إلى أحد بثقة ، يكون دائماً شاحب الوجه ، مرتعباً ، ومملوءاً قلقاً . أليس هذا هو حال المحتالين واللصوص الذين لا يكتفون بما لديهم ؟ أليست هذه هى حياة القتلة والزناة الملوثين بؤساً هؤلاء الذين يتطلعون إلى الشمس بتشكك ؟! ألعل هذه حياة ؟! لا بل بالحرى هى بشاعة (١٠٦) » .

هذا هو عمل الرياضة الروحية الحقة ، إنها تبعث فى النفس روح الرجاء المفرح ، الأمر الذى له انعكاساته حتى على حياتنا الزمنية بجانب إكليلنا السماوى ، فنحيا فرحين متهللين حتى وسط الآلام ، لا يفارقنا فرح الروح حتى وسط الدموع . ولعل هذا ما قصده السيد المسيح حين وعدنا فى هذا العالم بمئة ضعف وفى الحياة الأخرى بالحياة الأبدية (مت ١٩ : ٢٩ ، مر ١٠ : ٣٠) .

يقول الرسول : « **لهذا نتعب ونعير** » ، فإنه يحلو الصليب بكل آلامه وأتعابه وما فيه من مرارة وحرمان ، لأن وسط الضيقات المتزايدة تتلذذ النفس بالتعزيات الإلهية الفائقة ، وخلال شركة آلام الصليب نتعرف على قوة القيامة عاملة فينا .

هذه الوعود ليست خاصة بفئة دون أخرى كما يدعى الغنوسيون ، إنما هى وعود للبشرية كلها . هذا ما يؤكده الرسول فى كل رسائله ، إذ يقول هنا : « ألقينا رجاءنا على

الله الحي الذى هومخلص جميع الناس ولا سيما المؤمنين » . إنه مخلص جميع البشر، لكنه لا يستطيع أن يتلمس عمله الخلاصى سوى المؤمنين .

٢ - وصايا للراعى :

بعد أن تحدث عن التزام الراعى بالجهاد الروحى فى حياته الخاصة وكرازته بالإيمان المستقيم الحى، قدم له وصايا تمس جهاده :

أ - « لا يستهن أحد بحداثتك ، بل كن قدوة للمؤمنين فى الكلام ، فى التصرف ، فى المحبة ، فى الروح ، فى الإيمان ، فى الطهارة » (ع ١٢) . إن كان الراعى حديث السن ، فلا تصغر نفسه فيه ، فإن الشيخ لا يحسب هكذا بشيبة السن وإنما باتسامه بالحكمة، ليس فقط خلال المعرفة والوعظ والتعليم ، وإنما أيضاً فى تدبير الأمور وإعلان الحب أى اتساع القلب ليضم فيه كل نفس ، وفى حكمة الروح فلا ينحرف عن الخط الروحى المتزن ، وفى الإيمان بلا تخوف ولا تردد ، وفى حياة الطهارة والنقاوة . الرعاية لا تطلب خبرة زمن بقدر ما تطلب خبرة حياة صادقة وأمينة ، معلنة على فم الراعى وفى قلبه وروحه وفى كل تصرفاته الظاهرة والخفية ، فيكون مثلاً حياً لشعب الله .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « ما دامت حياتك متزنة فإنهم لا يستخفون بحداثتك بل بالحرى يعجبون بك بالأكثر، لهذا يكمل قائلاً : كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الإيمان فى الطهارة » . لتظهر كمثال للأعمال الصالحة فى كل شىء ، ولتكن نموذجاً للحياة المسيحية ، نموذجاً يُقدم للغير كناموس حىّ وقاعدة وقياس للحياة الصالحة . هذا ما يليق بالمعلم (١٠٧) » .

ب - « إلى أن أجىء أعكف على القراءة والوعظ والتعليم» . يليق بالراعى أن يكون دائم النمو فى حياته الداخلية ، خلال الرياضة الروحية ولا سيما حب القراءة والتعلم مع الشوق إلى الوعظ والتعليم بقصد الدخول بكل نفس إلى الخبرات الجديدة التى يمارسها المعلم كل يوم . فالراعى يتعلم و يعلم ، يتدرب و يدرب الآخرين ، ينمو كل يوم فيأتى بثمر فى حياته وحياة إخوته وأولاده الروحيين .

ج -« لا تهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدى المشيخة Presbytery . إن كان الله قد وهبنا مواهب فيلزم ألا نطمرها بل نعمل بها رابحين

لتقديمها للرب مع ربحها . و يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن النبوة هنا تعنى التعليم ، وأن كلمة Presbytery تعنى الكهنوت بصفة عامة ، وأن الرسول يقصد هنا درجة الأسقفية لا القسيسية (١٠٨) .

المواهب المعطاة للقديس تيموثاوس هى كلمة الوعظ (النبوة) ومع درجة الأسقفية ... إلخ إنها مواهب مجانية مقدمة له من قبل الله بلا فضل من جانبه ، لكنه ملتزم أن يضرمها بالعمل والجهاد حتى لا تذبل فيه فيدان أمام من وهبه إياها .

هنا أيضاً تأكيد لنوال الدرجة الكهنوتية بوضع الأيدى ... ، لكن هذه العطية ليست للكرامة وإنما لحمل المسئولية ، إذ يقول الرسول : « **اهتم بهذا ، كن فيه** » بمعنى : « كرس كل حياتك وكل طاقاتك وكل مواهبك لحساب هذه الموهبة المجانية . كن فى هذا العمل دون غيره » . يطالبه الرسول بضرورة النمو الدائم فى كل شىء ، فى الدراسة والعبادة والكرازة والتعليم والتدبير والارشاد الروحى ... أى يكون النمو فى كل جانب من جوانب الرعاية بغير تطرف ، إذ يقول الرسول : « **لكى يكون تقدمك ظاهراً فى شىء** » ، كما يقول : **لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك ، لأنك إن فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك » (ع ١٥ ، ١٦)** . ليست هناك ثنائية فى حياة الراعى ، ولا تطرف . إنه يعمل روحياً لبناء نفسه كما لبناء شعب الله ، حياته الروحية لا تقوم على حساب مسئولياته الرعوية ، ولا الأخيرة على حساب الأولى ، إنما يعمل فى حياته الخاصة وفى عمله الرعوى بكونهما عمل واحد متكامل ومتناسق !

□

الأصحاح الخامس
العلاقات الكنسية

بعد أن قدم الرسول لتلميذه وصايا تخص حياته الروحية وعمله الرعوى بكونهما عملاً واحداً متكاملاً ، أوضح له الخطوط العريضة فى طريقة التعامل مع الرعية :

١ - توجيه كل فئة	١ - ٢ .
٢ - إكرام الأرامل	٣ - ١٦ .
٣ - الاهتمام بالكهنة	١٧ - ١٨ .
٤ - أسلوب التوبيخ	١٩ - ٢١ .
٥ - عدم التعجل فى السيامات	٢٢ .
٦ - وصية خاصة بصحته	٢٣ .
٧ - الخطايا الواضحة والخفية	٢٤ - ٢٥ .

* * *

١ - توجيه كل فئة :

« لا تزجر شيخاً بل عظة كأب ، والأحداث كإخوة ، والعجائز كأمهات ، والحدثات كأخوات بكل طهارة » (ع ١ ، ٢) .

كأن الرسول يعلن للرعاة أنه يجب عليهم أن يكونوا حكماء فى معاملتهم مع كل فئة وكل فرد من أفراد الرعية ، يعرفون كيف يكسبون الكل رجالاً ونساءً ، شيوخاً وأطفال ... إلخ حتى لا ينحرف أحدهم عن حظيرة السيد المسيح . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم :** « يختلط الكاهن بالمتزوجين الذين لهم أطفال وخدم ، كما يختلط بالأغنياء وأصحاب المراكز الغامة وذوى النفوذ ... لهذا وجب أن يكون إنساناً يعرف كيف يعامل الكل (many sides man) . لست أقول أن يكون مخادعاً أو متملقاً أو مرائياً ، بل يكون شديد المرونة ... يعرف كيف يتلاءم مع كل واحد حتى يربحه حسبما تقتضى الظروف ، فيكون رحيماً وحازماً ، لأنه يستحيل عليه أن يعامل كل الذين تحت

إشرافه بمعاملة واحدة . كالطبيب الذى ليس له أن يستخدم علاجاً واحداً لكل المرضى الذين يعالجهم ، أو ربان السفينة الذى ينبغى عليه ألا يعرف طريقة واحدة فقط لصد الرياح ، إذ نتعرض لرياح كثيرة (١٠٩) ...

يقدم لنا الرسول عينات عن طريقة تعامل الراعى مع فئات شعبه ، يمكن اجمالها فى عبارة واحدة وهى أن الرعاية ليست سلطة بل حب . فالراعى يتعامل مع كبار السن بكونهم آباء وأمهات له : « **لا تزجر شيخاً بل عظه كأب ... ، والعجائز كأمهات** » . إنه ملتزم بمعالجة أخطائهم لكن دون زجرهم بسلطان وإنما خلال الحديث الودى كإبن يتحدث مع أبيه أو أمه . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « الزجر فى طبيعته أمر خاطىء ، خاصة إن وجه إلى شيخ ، أما إن صدر عن شاب لشيخ فيكون الخطأ مضاعفاً ثلاث مرات (١١٠) » .

ولا يقف الحنو عند الشيوخ والعجائز ، وإنما يمتد إلى معاملة الراعى للأحداث والحدثات ، إذ يقول « **والأحداث كإخوة ... والحدثات كأخوات بكل طهارة** » ... بدون الحب لا يقدر الراعى أن يدخل إلى قلوب الأحداث والحدثات . لكن يجب عليه فى معالجته لأخطاء الحدثات أن يلتزم بروح الطهارة حتى لا يتعثر أو يعثر أحداً ، لئلا فيما هو يصلحهن يفقد طهارته أو يعثر الآخرين حتى وإن كان تصرفه صادراً عن بساطة قلب . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « التعامل مع الحدثات يسبب دائماً شكوكاً ، ومع هذا لا يقدر الأسقف أن يتجنب التعامل معهن باستمرار ، لذا يلزم أن يكون مثل هذا الالتصاق بكل طهارة (١١١) .

فى اختصار نقول أن الراعى فى علاقته بشعب الله يلزمه أن يعرف كيف يتعامل مع كل فئة ، بل مع كل شخص بروح الحب المملوء رقة وحنواً ، لكن دون مجاملة أو مداهنة على حساب خلاص نفسه أو خلاص أنفسهم ، يسلك بروح الحكمة والطهارة حتى لا يتعثر ولا يعثر أحداً .

٢ - إكرام الأرامل :

فى معالجة السيد المسيح لمشكلة الألم فى حياة الناس ، لم يأتِ لينزع الآلام عنا ، لكنه قبلها بارادته عنا ليحّول مجراها ومفهومها . بعد أن كانت الآلام ثمرة غضب الله وبصمة من بصمات عصياننا عليه ، صارت فى المسيح يسوع علامة حب إلهى فائق وطاعة حتى

الموت موت الصليب . وذبيحة شكر مقدمة من الإبن الوحيد . بهذا انفتح طريق الألم لنا بمفهوم جديد خلال إعلان حبنا وطاعتنا وشكرنا للآب فى إبنه . هكذا أيضاً فى حالة الترمل فإن الكنيسة لم تخرج الأرامل عن حالة ترملهن بتشجيعهن على الزواج لنزع الألم عنهم ، وإنما رفعت من مفهوم « الترمل » ، لتكون ليس بحالة بؤس وحزن وإنما حالة عمل روحى فى الكنيسة ... صارت الأرامل تمثل طغمة معينة لها كرامتها وعملها الإيجابى فى الكنيسة . فلا تعيش الأرامل كفئة منكوبة تتلمس عطف الجميع وترفقهم ، فيسلكن منكسرات القلب ، لا بل هن فئة تحتل الصف الثالث بعد رجال الكهنوت والمتبتلين ، لهن عملهن العظيم ورسالتهن فى الكنيسة . بهذا ترفع روحهن المعنوية وتنتفع الكنيسة عامة بهن وبخدمتهن (١١٢) . هذا ما نلمسه بوضوح فى الرسالة التى وجهها القديس يوحنا الذهبى الفم إلى شابة أرملة ، كان زوجها قد أوشك أن ينال وظيفة والى مقاطعة فكتب ليواسيها فى مصابها الفادح بل بالحرى ليدفعها للعمل فى كرم الرب . وهنا نلاحظ الرسول بولس قد أطال الحديث عن « الأرامل » ربما أكثر من أى فئة أخرى ، معطياً إياهن إهتماماً خاصاً ، ويظهر مدى اهتمام الكنيسة الأولى خاصة آباء مدرسة اسكندرية بهن فى كتاباتها عنهن .

يقول الرسول : « **إكرم الأرامل اللواتى هن بالحقيقة أرامل** » (ع ٣) . كأنه يميز بين من هى بالحقيقة أرملة ، ومن هى ليست بالحقيقة أرملة . بمعنى آخر يميز من هى أرملة فى طغمة الأرامل العاملات فى الكنيسة ، والأرامل اللواتى تعولهن الكنيسة .

فمن جهة إعالة الكنيسة الأرامل يقول الرسول : « **ولكن إن كانت أرملة لها أولاد أو حفدة فليتعلموا أولاً أن يوقروا أهل بيتهم ويوفوا والديهم المكافأة ، لأن هذا صالح ومقبول لدى الله** » (ع ٤) .

يطالب الرسول المؤمن أبسط القواعد الإنسانية وهى إن ترملت أمه أو جدته يلتزم المؤمن بإعالتها . إن كانت هى قد خدمته فى طفولته وصبوته دون أن تنتظر الجزاء ، فإن أصابها عوز بسبب ترملها وجب عليه الاهتمام بها . هكذا تلتزم العائلات القادرة بسد احتياجات أراملها حتى تتفرغ الكنيسة كهنة وشعباً لسد احتياجات الأرامل المحتاجات .

فى العهد القديم يرفض الله عبادة المؤمنين إن خلت من أعمال المحبة والرحمة ، مطالباً إياهم الاهتمام بالأرملة ، إذ يقول : « تعلموا فعل الخير : اطلبوا الحق ، انصفوا المظلوم ،

إقضوا لليتيم ، حاموا عن الأرملة » (أش ١ : ١٧) . وفى القرن الثانى الميلادى كتب **القديس أغناطيوس أسقف أنطاكيه** إلى أخيه القديس بوليكربس أسقف أزمير : « أمام الرب ، فلتكن محامياً عنهن (١١٣) » . وكتب **القديس بوليكربوس : « يجب على** الكهنة أن يكونوا رحومين مترفقين بالكل ، لا يعطون ظهرهم لمن ضلوا ، يهتمون بالمرضى ، ولا يتجاهلون الأرامل أو اليتامى الفقراء (١١٤) » . و يتحدث **القديس يوستين** فى ذات القرن عن مساعدة الأيتام والأرامل كجزء لا يتجزأ من العبادة الأفخارستية الأسبوعية ، حيث يقدم المؤمنون عطاياهم و يقوم رئيس الجماعة المقدسة بتوز يعها (١١٥) . و يقول **هرماس** أيضاً فى ذات القرن أن المؤمن إذ يصوم يدفع ثمن غذاء يومه لأرملة أو يتيم أو أى إنسان محتاج (١١٦) . كأن الاهتمام باحتياجات الأرامل تشغل قلب كل مؤمن سواء كان أسقفاً أو كاهناً أو من الشعب ، كجزء لا يتجزأ من سلوكه المسيحى وعبادته الأسبوعية الجماعية وعبادته الخاصة الخفية .

هكذا اهتمت الكنيسة باحتياجات الأرامل منذ بدء انطلاقها ، وقد وضع الرسول بولس الشروط اللازمة فى الأرملة لكى تعولها الكنيسة ، إذ يقول : **« ولكن التى هى بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهى تواظب على الطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً ، وأما المتنعمة فقد ماتت وهى حية » (ع ٥ ، ٦) .**

لقد اشترط الرسول فيها :

أ - أن تكون بالحقيقة أرملة و وحيدة ، أى فقدت رجلها وليس لها أولاد أو حفدة قادرون على إعالتها .

ب - ألقت رجاءها على الله الحى ، فإن كانت قد فقدت كل من يعولها لكنها وضعت رجاءها فيمن هو بالحق قادر أن يعول . إنها تجد راحتها فى الله نفسه الذى لا يتركها وحيدة ! مثل هذه تحتضنها الكنيسة لتجد أيضاً فى المؤمنين - كهنة وشعباً - أحباء لها يقدمون لها كل راحة ممكنة ، فتقبل محبتهم كما من الله نفسه .

ج - تواظب على الطلبات والصلوت ليلاً ونهاراً . إنها لم تختر الحياة الزمنية كسّر بهجتها لكنها دائمة الإتصال بعر يسها ، تسأله طلباتها وتدخل معه فى صلوات بلا انقطاع .

د - لا تعيش حياة مترفة مدللة : « وأما المتنعمة فقد ماتت وهى حية » . هذا هو

حال النفس التى تفقد عريسها المسيح وتعيش مترملة تسأل التنعم بالزمنيات لتشبع فراغ قلبها . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « الإنسان الذى يعيش فى لذة ميت وهو حى . إنه يعيش من أجل بطنه ، ولا يحيا لبقية أحاسيسه (المقدسة) . فهو لا ينظر ما كان ينبغى أن ينظره ، ولا يسمع ما كان يجب أن يسمعه ، ولا ينطق بما يلزم أن يتكلم به ، ولا يتمم أعمال الأحياء ... إنه ميت ! (١١٧) » .

« **فاوصِ بهذا لكى يكن بلا لوم** » (ع ٧) . يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على هذه العبارة الرسولية : « لا يُترك الأمر لاختيارهن . أوصِ - كما يقول - ألا يكن فى ترف ... فإن هذا أمر غير لائق بهن . ولا يجوز للمترفات أن يشتركن فى الأسرار الإلهية ... إذن لنوصى الأرامل المترفات ألا يكتتبن فى قوائم الأرامل طاعة للرسول ، وذلك كالجندى الذى لا يحسب أهلاً لوظيفته لأنه يكثر الدخول إلى الحمامات والمسارح (١١٨) ... » .

يكمل الرسول : « **وإن كان أحد لا يعتنى بخاصته ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن** » (ع ٨) . لقد استغل الرسول بولس هذا الموقف الخاص برعاية الأرامل ليعلن التزام المؤمن ليس فقط نحو والدته أو جدته الأرملة وإنما نحو كل عضو فى الكنيسة المقدسة فى عوز ، خاصة أسرته . سمة المسيحى الحقيقى هو الحب بلا حدود ، والاعتناء بالغير ، فكم بالحرى نحو خاصته وأهل بيته ؟! جاء فى سفر أشعياء : « لا تتغاضى عن لحمك » (٥٨ : ٧) . و يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « الاعتناء الذى يتكلم عنه جامع يخص النفس والجسد ، أى إعتناء بالاثنين معاً (١١٩) » . كما يقول : « من لا يعتنى بعائلته يعتدى على شريعة الله وعلى ناموس الطبيعة ... ليس الإيمان مجرد اعتراف بعقيدة وإنما هو تتميم الأعمال اللائقة بالإيمان (١٢٠) » .

لاحظ **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن بعض المؤمنين يهتمون برعاية الآخرين جسدياً أو روحياً بينما يتجاهلون إحتياجات عائلاتهم ، هذا إنما يكشف عن دافع خدمتهم للغير أنها ليست عن محبة أو لطف قلبى وإنما عن حب الظهور . فلو كانت خدمتهم نابعة عن أعماق قلبية محبة لما تجاهلوا أهل بيتهم حيث لا يراهم أحد ليشكرهم ويمدحهم .

يرى **القديس أغسطينوس** فى الأرملة الوحيدة التى ألقت رجاءها على الله وهى تواظب على الطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً وتسلك بغير ترف (ع ٥ ، ٦) تمثل النفس البشرية المترملة كمن هى بلا رجل يعينها ... إذ يقول : « كل نفس تدرك أنها مجردة عن

كل عون إلا الله وحده فهي مترملة ... ما الذى يجعلها آرملة ؟ إدراكها أنه ليس لها عون من مصدر آخر غير الله وحده . ليس لها زوج ، ولا تنتفخ بحمايته لها ، لذلك تبدو الأرامل مهجورات لكن معونتهن أعظم . الكنيسة ككل هى أرملة واحدة ، سواء كانوا رجالاً أو نساء ، متزوجين ومتزوجات . الكنيسة ككل أرملة واحدة مهجورة فى هذا العالم ! إن شعرت بهذا وعرفت حقيقة ترملها عندئذ يكون العون بين يديها حاضراً لديها (١٢١) » .

بعد الحديث عن إعالة الأرامل تحدث الرسول عن « فئة الأرامل » ، قائلاً :
« لتكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة ، إمرأة رجل واحد ، مشهوداً لها فى أعمال صالحة إن لم تكن قد ربت الأولاد ، أضافت الغرباء ، غسلت أرجل القديسين ، ساعدت المتضايقين ، إتبعت كل عمل صالح » (ع ٩ ، ١٠).

يقول Roger Gryson فى كتابه عن « خدمة المرأة فى الكنيسة الأولى (١٢٢) » أكثر من مرة وضع الأسكندرانيون الأرامل فى نفس القوائم مع الأساقفة والكهنة والشمامسة ، مثال ذلك **اكليمنضس الأسكندرى** حيث يعلن أن « وصايا بلا حصر كهذه قد كتبت فى الكتاب المقدس توجه إلى أشخاص مختارين ، البعض للكهنة ، والأخرى للأساقفة كما للشمامسة وللأرامل (١٢٣) » . هذا لا يعنى أن الأرامل يمثلن جزءاً من الكهنوت ، لكنهن يمثل نصيباً من التنظيم الكنسى ، لهن عملهن الخاص ، خاصة الصلاة . وقد أفرد كثير من الآباء مقالات خاصة عن « الترمل » .

وقد حدد الرسول الشروط السابقة (ع ٩ ، ١٠) لاكتتاب الأرملة فى الكنيسة . و يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه السمات بقوله : « يا للغرابة ! أى دقة يتطلبها فى الأرامل ، فإنها تكاد تكون ذات السمات المطلوبة فى الأسقف (١٢٤) » . وفيما يلى السمات :

أ - ألا يقل عمرها عن الستين عاماً ، فإنها كأرملة يهتم الرسول بسنها حتى لا يتعثر أحد بتنقلاتها بين بيوت الفقراء والمرضى لخدمتهم ، وأيضاً مرافقتهن الأسقف أو الكاهن عند زيارة بعض البيوت لخدمة نساء أو فتيات ، أو عند عماد فتيات . إنهن سند قوى فى خدمة النساء . وفى حديث **القديس يوحنا الذهبى الفم** لأرملة شابة يعلق على العبارة الرسولية التى بين أيدينا ، قائلاً : «عندما نظم (الرسول) موضوع الأساقفة لم يحدد لهم السن ، أما هنا فحدد السن ، لماذا ؟ ليس لأن الترمل أعظم من الكهنوت ، إنما لأن للأرامل أعمال

خطيرة ... فهن محاصرن بأعمال متنوعة ، عامة وخاصة . وكما أن المدينة غير الحصينة تكون نهباً لمن يريد أن يسلبها ، هكذا الشابة الأرملة ، يترقبها كثيرون حولها ، ليس فقط الذين يرغبون فى نهب أموالها ، وإنما الراغبون فى إفساد عفتها أيضاً (١٢٥) ... » .

ب - إمرأة رجل ، فلا يكون قد سبق لها أكثر من زواج ، بهذا تحمل سمة من سمات الأسقف والشماس . وكأن الكنيسة لا تستريح فى خدامها أو العاملين فيها أن يكونوا غير أعضاء أو حتى سبق زواجهم أكثر من مرة .

ج - لها شهادة أنها تمارس الأعمال الصالحة ، أى مشهود لها أن تكون بلا لوم كما قيل عن الأسقف . يقول **القديس أمبروسيوس** « ليس فقط طهارة الجسد وحدها هو هدف الأرملة القوى ، وإنما ممارستها للفضيلة على نطاق عظيم وبفيض (١٢٦) » ، كما يقول : « ليس بلا سبب يجب أن يكن بلا لوم ، هؤلاء اللواتى إذ يرتبطن بالأعمال الفاضلة تكون لهن كرامة عظيمة حتى أن الأساقفة يكرمهن . ليس كبر السن وحده يجعل منها أرملة وإنما استحقاقاتها كأرملة (١٢٧) » .

د - ربت أولادها حسناً ، فإذ تتسلم رعاية الفقراء والمرضى ، يجب أن تكون قد نجحت فيما كان بين يديها ، أى تربية أولادها ، فتؤتمن على الغرباء .

هـ - أضافت الغرباء : يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** « لاحظ أنه يتحدث عن إضافة الغرباء هنا ليس كمجرد استقبال لطيف لهم وإنما التقدم إليهم بغيرة ونشاط واستعداد كمن يستقبل المسيح نفسه . يليق بالأرامل أن يحققن ذلك بأنفسهن ولا يعهدن بخدمة الغرباء لخادماتهن . يقول المسيح : « إن كنت وأنا السيد المعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض » (يو١٣ : ١٤) ... إن كنتن تستقبلن الغريب كأنه المسيح فلا تخجلن فإنكن تكن فى مجد ، وإن كنتن لا تستقبلن هكذا المسيح فلا تقبلوه بالمرة ... (١٢٨) » .

و - غسلت أقدام القديسين : يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** « من هم هؤلاء القديسين ؟ القديسون الذين فى ضيقة وليس كل القديسين . يوجد قديسون يهتم بهم كثيرون مثل هؤلاء لا تفتقدهم إذ هم فى وسع ، إنما يجب أن تهتم بمن هم فى ضيقة ، غير المعروفين ، أو يعرفهم القليلون . إنه يقول : « بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم » (مت ٢٥ : ٤٠) (١٢٩) » .

و يرفض العلامة أوريجانوس التفسير الحرفى لغسل أقدام القديسين ، قائلاً بأن غسل الأقدام إنما هو عمل العبيد والخدم ، لا يعنيه الرسول حرفياً ، إنما يعنى تطهير النفس بالكلمات اللائقة (١٣٠) . كما يقول : « تستحق هؤلاء الأرامل أن يكرمن فى الكنيسة ، هؤلاء اللواتى يغسلن أقدام القديسين خلال التعليم الروحى ، لا أقصد بالقديسين الرجال بل النساء ، إذ لا أسمح للمرأة أن تعلم أو يكون لها تسلط على الرجل (١ تى ٢ : ١٢) . إنه يريد من النساء أن يعلمن ما هو صالح بمعنى أنهن يلقن الحدثات العفة دون الاحداث ... إنهن يدربن الحدثات على العفة ومحبة رجالهن وأولادهن (١٣١) » .

من هذا النص نكتشف أن الأرامل فى القرن الثانى كن بكنيسة الاسكندرية يقمن بعمل تعليمى بين الحدثات دون الشبان ، يدربن إياهن على الحياة التقوية والحياة الزوجية المملوءة حباً ، والسلوك الأسرى المسيحى .

ز – فى إختصار يقول الرسول « إتبعت كل عمل صالح » ، وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم إن الأرملة يلزمها أن تتمم كل عمل صالح وإن لم تستطع فلنساهم فيه ، كما يقول : « هكذا يتطلب الرسول التدقيق فى الأرامل أكثر مما يتطلبه فى العذارى ، يتطلب فيهن أن يكن أكثر دقة وأعظم فضيلة (١٣٢) » .

أخيراً يحذر الرسول بولس من اكتتاب الأرامل الحدثات ، بقوله : « أما الأرامل الحدثات فأرفضهن ، لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن ولهن دينونة لأنهن يرفضن الإيمان الأول » (ع ١١ ، ١٢) . يخشى الرسول من العثرة التى تصدر عن الأرامل الحدثات لئلا يبطرن على المسيح ، أى بعد قبولهن حالة الترمل كحالة زواج مع السيد المسيح روحياً ، يعدن فيردن الزواج فينقضن عهدن من جهة تكريس كل وقتهن وطاقاتهن لخدمة الله وإرضائه . إنهن لا يسقطن تحت الدينونة بسبب زواجهن بعد الترمل ، وإنما لانحراف فكرهن بعد تعهدهن بالتكريس لخدمة الرب . فكان الأفضل لهن أن يتزوجن قبل أن يكتتبن فى قوائم الأرامل ليعملن فى الكرم ثم يرجعن عن حياتهن المقدسة .

مثل هؤلاء الحدثات ، إذ يتركن عريس نفوسهن يدخلن فى حالة من البطالة ، إذ يقول الرسول : « ومع ذلك أيضاً يتعلمن أن يكن بطالات يطفن فى البيوت ، ولسن بطالات فقط بل مهذارات أيضاً وفضوليات يتكلمن بما لا يجب . فأريد أن الحدثات يتزوجن ويلدن الأولاد ويدبرن البيوت لا يعطين علة للمقاوم من أجل

الشتم. فإن بعضهن قد انحرفن وراء الشيطان » (ع ١٣ – ١٥). و يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على ذلك بقوله : « البطالة هى معلم كل خطية (١٣٣) » . فالله لا يهان بزواج الأرامل وانجابهن أولاداً ، إنما يهان ببطالتهن الروحية وفراغهن الداخلى ، فلا يرضين الله بسلوكهن. الزواج ليس ممنوعاً ، بل هو حصن للأرامل الحدثات حتى لا يترك مجال للمقاوم أن يغلبهن .

هكذا يكشف الرسول عن كرامة الأرامل كعرائس للسيد المسيح ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم :** بقوله هذا جعلنا نفهم أن اللواتى فقدن رجالهن هن عرائس المسيح بدلاً من رجالهن... ها أنت ترين أى كرامة عظيمة تمنح للأرامل ! هذا فى العهد الجديد حيث أضاء نور البتولية أيضاً بوضوح . و بالرغم من شدة بهاء هذه الفئة (البتوليين) إلا أنها لا تطغى على أمجاد الترمل ، حيث تضيء للكل محتفظة بقيمتها (١٣٤) » .

يختم الرسول حديثه عن الأرامل بتأكيد التزام العائلات بأراملهم : « **إن كان لمؤمن أو مؤمنة أرامل فليساعدهن ، ولا يثقل على الكنيسة لكى تساعد هى اللواتى بالحقيقة أرامل » (ع ١٦).** نفهم من هذه العبارة بأن الكنيسة تلتزم أن تدبر الأمور المادية وتنظمها ، لتعطى من فى عوز وليس لهم من يعولهم ، بينما تترك أمور المحتاجين ولهم من يعولهم فى أيدى القادرين من أولادهم أو أحفادهم إلخ ... التنظيم لا يتنافى مع الروحانية ، وكما يقول **القديس أغسطينوس :** « كان للرب صندوقاً (يو١٣ : ٢٦– ٣١) يحتفظ فيه بتقدمات المؤمنين ليستخدمه فى ضروريا ته وضروريات من هم فى عوز... فلا نفهم وصيته الخاصة بعدم الإهتمام بالغد (مت ٦ : ٣٤) بمعنى ألا يكون لقديسيه مالاً ، وإنما لا يخدم الله بهدف كهذا (١٣٥) » .

٣ –الاهتمام بالكهنة :

« وأما الشيوخ المدبرون حسناً فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم ، لأن الكتاب يقول : لا تكم ثوراً دارساً ، والفاعل مستحق أجرته » (ع ١٧ ، ١٨)

هنا لا يتحدث الرسول عن الكرامة بمعنى تمجيد الخدام وإنما التزام الكنيسة بسد احتياجاتهم المادية حتى يتفرغوا للكرازة بالكلمة والتعليم . يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الرسول هنا يحث الكهنة لا لنوال الأجرة ، وإنما يتفرغون للعمل دون إرتباك من جهة ضروريات الحياة . « من يعيش فى كسل وترف لا يستحق الكرامة ما لم يصر كالثور

الدارس الذى يحمل النير بالرغم من الحر ووجود الأشواك دون توقف ، حتى يُحمل المحصول إلى المخزن (١٣٦) » .

إن كان الكهنة يدبرون شئون المؤمنين الروحية لأجل خلاصهم فإنهم لا يحرمون من نوالهم نصيباً مضاعفاً من الأمور الزمنية ، لا ليعيشوا فى ترف ، فى حياة ارستقراطية ، إنما لكى يستطيعوا خلال الفيض مما لديهم أن يقدموا للمحتاجين . الكاهن كصاحب تدبير لا تخاف عليه من المكافأة المضاعفة ، لأنها تعجز عن أن تسحبه نحو الأرضيات ، وذلك كما أعطى الله أبانا إبراهيم خيرات متكاثرة فكان إبراهيم يزداد فى سخائه وشكره لله وعفته عن الأمور الزمنية . هذا من جانب الكنيسة والمؤمنين ، أما من جانب الكاهن نفسه فيلزمه أن يخاف على نفسه من النصيب المضاعف ، لئلا يبتلعه حب العالم وسط خدمته ، وتلهيه محبة الناس وكرمهم عن بذله وعطائه فى المسيح يسوع ربنا .

٤ - أسلوب التوبيخ :

« لا تقبل شكاية على شيخ إلا على شاهدين أوثلاثة شهود » (ع ١٩). هذه الوصية ليست بجديدة ، فقد ألزمت الشريعة الموسوية عدم إدانة إنسان بدون شهادة شاهدين أو ثلاثة شهود . وكأن هذه الوصية إنما جاءت لتؤكد الوصية القديمة خاصة بالنسبة للشيوخ والكلمة اليونانية ل « شيخ » تعنى « الكاهن الشيخ » غير أن **القديس يوحنا الذهبي الفم** يرى أن الرسول لا يقصد هنا الوظيفة إنما كبر السن . فلا يليق بنا أن نتسرع فى تصديق إتهام كبار السن فى إرتكاب أى خطية . ولعل هذه الوصية قد ركزت على كبار السن لأنهم متى جرحوا بإتهام ما حتى وإن ثبتت براءتهم تبقى نفوسهم مجروحة زماناً طويلاً بعكس صغار السن .

يكمل الرسول : **« الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف » (ع ٢٠).** لعله كان يتحدث عن الكهنة الشيوخ لذلك أمر بعدم التسرع فى الحكم ، لكن إن ثبت عليهم شيء وكان له خطورته على إيمان الشعب لذا وجب توبيخهم علناً حفظاً على سلامة إيمان الكنيسة .

ولما كان لهذا الأمر حساسيته الشديدة وخطورته الفادحة ، لهذا يشهد عليه الله الآب والإبن الوحيد يسوع المسيح والملائكة القديسين ألا يتصرف فى هذه الأمور متأثراً بدوافع شخصية لتحقيق أهواء فى نفسه أو بمحاباة ، إذ يقول : **«أناشدك أمام الله والرب يسوع**

المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بمحاباة » (ع ٢١).

إن أخطر ما يمكن أن يحدث فى الكنيسة أن تتم محاكمات أو إدانة بدوافع شخصية خفية تحت ستار الحق ، الأمر الذى ينزع نعمة الله و يشق الكنيسة و يقسّمها . لعل التاريخ قد قدم لنا أمثلة ولو قليلة جداً - كيف حملت بعض المحاكمات الكنسية بدوافع خفية على خلاف ما تظهر فى الخارج فقدمت لنا مرارة ! .

٥ - عدم التعجل فى السيامات :

« لا تضع يداً على أحد بالعجلة ، ولا تشترك فى خطايا الآخرين . إحفظ نفسك طاهراً » (ع ٢٢). بعد أن تحدث عن التدقيق الشديد فى محاكمة الكهنة ، وعدم التسرع فيها ، وبحث دوافعها الخفية يحدثنا هنا عن سيامة الكهنة بكل درجاتهم بوضع اليد (أع ٦ : ٦) ألا تتم بعجلة حتى لا يشترك معهم فى خطاياهم ، مقدماً حساباً عنهم أمام الله . يليق بنا عدم التسرع فى اختيار الكاهن ، من أن يسام وعندئذ نلومه على أخطائه .

حديث الرسول بولس موجه للقديس تيموثاوس كأسقف ، لكنه مقدم لكل من يساهم فى اختيار رجال الكهنوت . يوبخنا **القديس چيروم** بقوله : « فى هذه الأيام كثيرون يبنون كنائس ، حوائطها وعمدها من رخام غالٍ ، سُقفها متألقة بالذهب ، مذابحها محلاة بالجواهر ، أما بالنسبة لإختيار خدام المسيح فلا يعطون إهتماماً (١٣٧) » .

يربط الرسول بين عدم التسرع فى وضع اليد وحفظ حياته طاهراً ، وكأنه باشتراكه فى اختيار كهنة طاهرين فى كل شيء يشترك معهم فى طهارتهم ، وإلا فإن كل شر أو شبه شر يرتكبونه يدينه هو فيحسب فى عينى الله كمن هو غير طاهر.

٦ - وصية خاصة بصحته :

« لا تكن فيما بعد شراب ماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة » (ع ٢٣). لقد أظهر الرسول أبوة حانية نحو تلميذه فألزمه ألا يشرب بعد ماءاً بل يستعمل القليل من الخمر كدواء لمعدته وأمراضه الأخرى . حقاً يظهر الرسول بولس كإنسان متسع القلب لا يستعبد للحرفية القاتلة . عندما يجد إنساناً يتعثر بسبب أكله اللحم المستخدم كذبائح وثنية يحرم نفسه من اللحم ، قائلاً « حسن أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف » (رو ١٤ : ٢١) ، وعندما يجد أسقفاً

يمتنع عن الخمر نهائياً بالرغم من حاجته إلى استخدام القليل منه لظروفه الصحية يلزمه بالشرب .

يقول **العلامة ترتليان** أن تيموثاوس « كان ممتنعاً عن الخمر ليس عن قانون وإنما بسبب تكريسه (١٣٨) » . فالخمر فى ذاتها ليست محرمة بقانون لكنها غير لائقة خاصة بالنسبة للمكرسين لخدمة الرب . و يرى **القديس أكليمنضس الاسكندرى** أن تيموثاوس استخدم الخمر كمقو يناسب جسده المريض الخائر ، أما تأكيد استخدام « القليل » منه فخشية أن ينسى المرضى بكثرة الخمر (١٣٩) .

يتساءل **القديس يوحنا الذهبي الفم** : لماذا لم يشفه الرسول من أمراض معدته بدلاً من السماح له بشرب القليل من الخمر ؟ وجاءت الإجابة : « لكى إذا ما رأينا عظماء وفضلاء مصابين بالضيقات لا نعترض ، فإن هذا بالنسبة لهم إفتقاد مفيد . إن كان بولس قد أرسل إليه ملاك الشيطان حتى لا يفتخر فوق القياس (٢ كو ١٢ : ١١) فبالأكثر يليق أن يصاب تيموثاوس بالضعف . لقد كانت المعجزات التى فعلها كافيه أن تسقطه فى الكبرياء لذا ترك للخضوع لعمل الدواء (دون الشفاء المعجزى) حتى يتضع ، وحتى لا يتعثر الغير إذ يتعلمون أن الذين يقومون بأعمال عظيمة هم أناس يشاركونهم طبيعتهم الضعيفة (١٤٠) » . هكذا ترك القديس تيموثاوس الذى وهبه الله صنع الآيات والعجائب يئن من المرض و يلتزم بشرب القليل من الخمر علامة ضعفه الشخصى .

٧ - الخطايا الواضحة والخفية :

« خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء ، وأما البعض فتتبعهم . كذلك أيضاً الأعمال الصالحة واضحة والتى هى خلاف ذلك لا يمكن أن تخفى » (ع ٢٤ ، ٢٥) . إذ كان يتحدث عن السيامات يعلن الرسول هنا أن بعض الخطايا واضحة وأيضاً الأعمال الصالحة و بعض الخطايا خفية وأيضاً الأعمال الصالحة . وكأن الرسول يؤكد لتلميذه التزامه بعدم السيامة لمن كانت خطاياه ظاهرة تتقدمه للحكم الكنسى حيث تفحص الكنيسة من يرشحون للعمل الكهنوتى . لا يقف الأمر عند عدم وجود خطايا ظاهرة وإنما يلزم أن تزكيهم أعمالهم الصالحة . حقاً يوجد من يظهرون غير ما يبطنون ، فأعمالهم الحقيقية مخفية ، لذا كثيراً ما نخطىء فى الاختيار... لذا نحتاج فى السيامات إلى تدخل الله نفسه فاحص القلوب والكلى . ما أحوجنا إلى الصلاة مع التقديس حتى يختار الله رعاة قلوبهم مثل قلبه ! .

الأصحاح السادس

العلاقات الاجتماعية

بعد أن تحدث عن التنظيمات الكنسية موضحاً علاقة الراعى بفئات الشعب من شيوخ وأحداث وعجائز ، ومسئولية الكنيسة نحو الأرامل والكهنة ، وسيامة الكهنة إلخ ... يقدم لنا الرسول صورة حية عن العلاقات الاجتماعية خاصة بين العبيد والسادة فى الرب .

١ - وصايا للعبيد ١ - ٢ .

٢ - الاهتمام بالجانب العملى ٢ - ٥ .

٣ - توجيهات للأغنياء ٦ - ١٩ .

٤ - وصية ختامية ٢٠ - ٢٢ .

* * *

١ - وصايا للعبيد :

يقدم الرسول الخطوط العريضة لتلميذه فى توجيهاته للعبيد كما للسادة الأغنياء لكى تكون خدمته عملية ومثمرة ، بعيدة عن المماحكات الكلامية الباطلة . **« جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام ، لئلا يفترى على إسم الله وتعليمه » (ع ١).**

إهتم الرسول فى كتاباته بالعبيد الذين قبلوا الإيمان المسيحى ، مقدماً لهم وصايا يلتزمون بها كما قدم للسادة المسيحيين وصايا تجاه العبيد . إن كان الرسول لم يقم بثورة علنية ضد نظام العبيد ، لكنه بالحب والإيمان كان يهدم النظام من جذره . لقد رفع من معنوية العبد وقدم له رسالة إيمانية خلال حياته التقوية حتى تجاه سيده القاسى .

يوجه الرسول حديثه إلى العبيد الذين هم « تحت نير » ، وكأنه يعلن لهم أنه يتحدث معهم كمن يشعر بآلامهم وأثقالهم ، و يدرك أنهم تحت نير ، يتحدث خلال الواقع العملى لا الفكر الفلسفى النظرى . حقاً ليس فى مقدوره أن يرفع عنهم هذا النير ، لكنه إذ يقدم لهم إمكانية الحياة الجديدة فى المسيح يسوع يرفع نفوسهم فوق كل نير مادى أو نفسى . فلا

يتطلع العبد إلى نفسه وهو تحت نير العبودية كمن هو فى مذلة ومرارة ، لكنه إذ يحمل فيه « المسيح يسوع » يرتفع بقلبه وفكره وأحاسيسه فوق النير ليعلن الحق الإنجيلى لسيده العنيف لا خلال المماحكات الكلامية ولا العنف وإنما خلال الحياة الإنجيلية وسلوكه الايمانى المملوء حباً ، فيأسر سيده بالحب ، ويجتذبه بالحياة العملية . بهذا يعيش العبد فى طاعة لسيده العنيف لا عن خوف أو قسر إنما خلال إيمانه بالله فى المسيح يسوع ربنا . وقد كشف لنا التاريخ عن عبيد كثيرين استطاعوا بحياتهم أن يجتذبوا سادتهم إلى الإيمان ، بل وخرج من السادة أنفسهم من ثار على هذا النظام الجائر .

بهذا المنظار الروحى يرفع الرسول الإنسان فوق كل الظروف المحيطة به ، فيحقق غايته حتى وإن كان عبداً لسيد عنيف . فى هذا يقول القديس أمبروسيوس : « مع أن يوسف جاء عن أسرة البطاركة الشرفاء لكنه لم يخجل من عبوديته الوضيعة ، بل زينها بخدمته الحاضرة ، وجعلها مجيدة بفضائله . لقد عرف كيف يتضع ذاك الذى صار سلعة فى يدّى المشترى والبائع ، ودعاهما « سيدى » . أنظر اتضاعه وهو يقول : « هوذا سيدى لا يعرف معى ما فى البيت وكل ما له قد دفعه إلى يدّى ، ليس هو فى هذا البيت أعظم منى ، ولم يمسك عنى شيئاً غيرك لإنك إمرأته ، فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله ؟! » (تك ٣٩ : ٨ ، ٩) . كلماته مملوءة إتضاعاً وعفة ، مملوءة اتضاعاً إذ كان مطيعاً لسيده بروح كريمة يعترف بجميله ، ومملوءة عفة إذ حسبها خطية مرعبة أن يتدنس بجريمة عظيمة كهذه (١٤١) » .

لقد رفع السيد المسيح روح العبيد ، فإنه وهو إبن الله الكلمة جذب إليه البشرية لا بالكشف عن أمجاده الإلهية وإنما بقبوله « العبودية » ، فجاء يغسل الأقدام بيديه كعبد والقلوب بدمه الطاهر ! لهذا لم يستنكف الرسول بولس أن يعلن أنه قد استعبد نفسه لكثيرين حتى يرفعهم من حالة العبودية للخطية إلى البنوة الحرة لله ! إذن فى حبنا للغير لا نستنكف من خدمتهم بل بكل فرح نستعبد أنفسنا لهم فى المسيح يسوع ، نحبهم ونطيعهم ونخضع لهم فى الرب حتى نأسر عنفهم وقساوتهم وندخل بهم إلى حرية الحب الإلهى .

هذا بالنسبة للعبيد فى علاقتهم بسادتهم غير المؤمنين أو المرؤوسين فى معاملاتهم مع الرؤساء العنفاء ، فما هو موقفهم مع المؤمنين اللطفاء ؟ يقول الرسول « **والذين لهم سادة مؤمنون لا يستهينوا بهم لأنهم إخوة بل ليخدموهم أكثر، لأن الذين يتشاركون فى الفائدة هم مؤمنون ومحبون. علّم وعظ بهذا** » (ع ٢) .

إن كان العبد المؤمن يخضع بالطاعة للسيد غير المؤمن من أجل تمجيد الله وإعلان إنجيله حتى لا يجدف على الله ، فإنه ملتزم أيضاً بالخضوع للسيد المؤمن من أجل الأخوة والحب . حقاً في الإيمان يدخل الكل في أخوة صادقة إذ « ليس عبد ولا حرّ في المسيح يسوع » (غل ٣ : ٢٨ ، كو٣ : ١١) . لكن هذه الأخوة لا تعني أن نسلب الكرامة ممن لهم الكرامة أو نهضم حق إخوتنا من نحونا . إيماننا في المسيح يسوع يهبنا المساواة في الروح والحق أمام الله والكنيسة لكنه لا يعفينا من إلتزاماتنا الزمنية سواء الخاصة بالعمل أو القرابة ، كخضوع الإبن لأبيه وأمانة العامل لحساب صاحب العمل . الأخوة لا تعني إستهتاراً أو استخفافاً بحقوق المؤمنين ، إنما بالعكس تدفع المرؤوس للأمانة في تقديم واجباته نحو المؤمنين بجدية صادقة . يقول الرسول : **« بل ليخدموهم لأنهم مؤمنون ومحبوبون »** ، ويعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « كأنه يقول : إن كنتم تحسبونه نفعاً عظيماً أن يكون سادتكم إخوة لكم ، فعلى هذا الأساس يلزمكم بالأكثر أن تخضعوا لهم (١٤٢) » .

إن كان هكذا يليق بالعبيد أن يطيعوا سادتهم ويحبونهم فكم بالحري يليق بنا أن نخضع لسيد البشرية كله ونحبه . يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « لنخجل أيها الأحباء ولنخف ! ليتنا نخدم سيدنا كما يخدمنا عبيدنا (١٤٣) » . كما يقول عن العبيد : « خوف سادتهم أمام أعينهم وخوف سيدنا ليس أمامنا على الإطلاق (١٤٤) » .

٢ – الاهتمام بالجانب العملي :

« علم وعظ بهذا .

إن كان أحد يعلم تعليماً آخر ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذي هو حسب التقوى ، فقد تصلّف ، وهو لا يفهم شيئاً بل هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام التي فيها يحصل الحسد والخصام والافتراء والظنون الردية ، ومنازعات أناس فاسدي الذهن وعادمي الحق يظنون أن التقوى تجارة . تجنب مثل هؤلاء » (ع ٢ – ٥) .

يوصي الرسول تلميذه أن يعلم و يعظ ، لعله قصد بالتعليم تقديم الإيمان المستقيم والعقيدة المسيحية و بالوعظ أي تحويل العقيدة إلى حياة عملية وتطبيقات سلوكية . كأن الرسول يوصيه أن يمزج العقيدة بالسلوك ، والإيمان بالعمل ! و يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** إن امتزاج التعليم بالوعظ إنما يعني امتزاج السلطة كمعلم بالحنو كواعظ ،

قائلاً : « لا يحتاج المعلم إلى السلطان وحده وإنما إلى اللطف أيضاً ، وليس إلى اللطف وحده وإنما إلى السلطان أيضاً (١٤٥) » .

يقول الرسول : « علّم وعظ بهذا » ماذا يقصد « بهذا » ؟ أى بما سبق فاعلنه بروح المسيح ، روح التقوى العملية فى المسيح يسوع ربنا . هذه التى إن انحرف عنها أحد ليتكلم من عندياته حسب الحكمة البشرية وليس بما يعلمه الروح القدس (١ كو ٢ : ١٣) يكون متصلفاً ومتكبراً . فإن الكبرياء يحّول الإيمان إلى مماحكات ومباحثات غبية تفسد حياة الإنسان الروحية وتنزع عنه روح التقوى ، بل وتدفع الكنيسة كلها إلى الحسد والخصام والافتراءات والظنون الردئية ، فتنشأ منازعات فاسدة كلها خبث ودهاء واحتيال ، ليس فيها شىء من الحق . بهذا تتحول التقوى إلى تجارة إذ يعمل أصحاب المنازعات لا لحساب المسيح وبنيان الكنيسة وإنما لحسابهم الخاص ... لذا يؤكد الرسول : « تجنب مثل هؤلاء » .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على العبارات السابقة : « لا ينبع التصلف عن المعرفة إنما عن عدم المعرفة ، فمن يعرف تعاليم التقوى يميل بالأكثر إلى الإتضاع . من يعرف الكلمات المستقيمة لا يكون غير مستقيم » ، كما يقول : « من يعرف ما لا يلزم معرفته فهو عديم المعرفة ، والكبرياء ينشأ عن عدم المعرفة (١٤٦) » .

يتحدث القديس كبريانوس عن خطورة هؤلاء الهراطقة المتصلفين الذين يقسمون الكنيسة و يفسدون الإيمان ، قائلاً : « يقول الرسول : لا يغركم أحد بكلام باطل ، لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية فلا تكونوا شركاءهم » (أف ٥ : ٦ ، ٧) . ليس هناك علة للإنخداع بكلماته الباطلة والإشتراك معه فى فسادهم . اهرب من مثل هذا . أتوسل إليك وأرجوك يا من تسكب صلوات يومية للرب ، يا من ترغب فى أن تنسحب إلى الكنيسة خلال رأفات الله ، يا من تصلى من أجل سلام الله الكامل (الكنيسة) الأم وللأولاد (المؤمنين) . لتلتحم طلباتك وصلواتك مع طلباتنا وصلواتنا ، ولتختلط دموعك بنحيبنا . لتحذر الذئاب التى تفصل القطيع عن الراعى . تجنب لسان الشيطان السام ، الذى هو مخادع وكذاب منذ بدء العالم ، يكذب لكى يخدع ، و يداهن لكى يضر ، يعد بالحسنات لكى يبث شروراً ، يعد بالحياة ليقدم موتاً ... يعد بالسلام لكى لا يتحقق السلام ، و بالخلاص حتى لا يبلغ الخاطىء للخلاص ، و يعد بالكنيسة مع أنه يبذل كل الجهد لكى يدفع من يؤمن به إلى الهلاك تماماً خارج الكنيسة (١٤٧) » .

٣ - توجيهات للأغنياء :

« وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة » (ع ٦) . إذ يسقط أصحاب المناقشات الفاسدة والمماحكات فى محبة الأرضيات ، محولين التقوى إلى تجارة ، مستغلين الروحيات لصالحهم الخاص ، إذ بهم فى الحقيقة يخسرون ، لأن « التقوى مع القناعة هى تجارة عظيمة » . كلما ترك الإنسان محبة العالم وراء ظهره أشبعه الله روحياً ونفسياً ومادياً أيضاً . كلما زهد الإنسان فيا للعالم يعطيه الله بالأكثر إذ لا يخشى عليه من أمور العالم ، وذلك كما حدث مع أبينا إبراهيم . بقدر ما ترك كان يأخذ ، وعلى العكس بقدر ما طمع لوط فى الأرضيات خرج فارغ اليدين حتى زوجته فقدها . لذلك يقول **مار اسحق السرياني** بأن من طلب الكرامة هربت منه ، ومن تركها جرت وراءه وتعلقت به .

بروح التقوى يدرك المؤمن الحقيق هذه الحقيقة : **« لأننا لم ندخل العالم بشيء ، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء ، فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بها » (ع ٧ ، ٨) .** إدراكه أنه يدخل العالم بلا شيء وخروجه منه بلا شيء يجعل قلبه مقتنعاً بالقليل جداً ، فيعيش لا للترف وإنما لمجرد الحياة . يريد ما يكفى قوت جسده وما يستره ليحيا بقوة الروح حتى يخرج . أما من يشتهى غنى هذا العالم فيعيش فى حالة فقر داخلى لا تقدر أمور هذا العالم أن تشبعه ، إذ يقول الرسول :

« وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس فى العطب والهلاك ، لأن محبة المال أصل لكل الشرور ، الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (ع ٩ ، ١٠).

وللقديس يوحنا الذهبي الفم تعليق هام ، « يقول الرسول : « الذين يريدون أن يكونوا أغنياء » ولم يقل « الذين هم أغنياء » بل الذين يشتهون الغنى . فالإنسان الذى له مال يستخدمه حسناً دون أن يبالغ فى تقييمه له ، مقدماً إياه للفقراء ، مثل هذا لا يُلام ، إنما يلام من كان طماعاً (١٤٨) » . لقد إهتم **القديس اكليمنضس الاسكندرى** بمعالجة هذا الأمر فكتب مقالاً تحت عنوان : « هل يخلص الغنى ؟ موضوعه الرئيسى تأكيد أن الغنى ليس شراً فى ذاته ، إنما شهوة الغنى هى الشر . وأنه بدون المال ما كان يمكن تقديم العون للفقراء والمرضى والغرباء إلخ ...

ليس الغنى وإنما الاستعباد للغنى هو الذى يدفع الإنسان إلى الدخول فى تجارب وفخاخ وشهوات كثيرة غبية مضرة تغرق الناس فى الهلاك . إنه يثقل الإنسان فيحطمه فى الأعماق ، فلا يقدر أن يرتفع على مياه العالم . أما النفس التى تحررت من محبة الغنى وشهوته فتقدر أن ترتفع لتطأ أمواجه تحت قدميها وتعلو فوق كل تياراته . النفس المتحررة من حب العالم تعيش فى حرية صادقة لا يقدر أحد أن يقتنصها .

« لأن محبة المال أصل لكل الشرور ، الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (ع ١٠) . هكذا يرى الرسول فى محبة المال كأصل لكل الشرور ، إن أسر قلباً ينحرف به عن الإيمان المستقيم و يطعن الإنسان الداخلى بآلام كثيرة . بسبب المال قد ينكر الإنسان إلهه ، أو يعصى وصيته الإلهية ، فيلجأ إلى السرقة أو القتل أو إثارة الانقسامات إلخ ...

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذاالقول الرسولى هكذا : « إنزع محبة المال تنتهى الحروب والمعارك والعداوة والصراعات والنزاعات . لذا يجب طرد محبى المال من العالم فإنهم كالذئاب والأوبئة . وكما أن الرياح العنيفة المضادة إذ تكتسح بحراً هادئاً تثيره من أعماقه ، فتجعل الرمال الراكدة فى الأعماق مختلطة بالأمواج العالية ، هكذا يربك محبو الغنى كل شىء و يسببون اضطراباً . الإنسان الطامع لا يعرف له صديقاً قط . ولماذا أقول صديقاً ، فإنه لا يعرف حتى الله نفسه !!! ... إنه كالنار التى تمسك فى الخشب فتدمر كل ما حولها . هكذا يحطم هذا الألم (محبة المال) العالم . يتعرض لهذا الألم الملوك والعظماء ، الشرفاء والفقراء ، النساء والرجال والأطفال ، مع أننا نسمع فى الأماكن العامة والخاصة عظات عن الطمع ، لكن ليس منهم من ينصلح حاله . إذاً ماذا نفعل ؟ كيف نطفىء هذا اللهيب ؟ فإنه وإن كان قد ارتفع حتى السماء لكن يلزم اطفاؤه . لتكن لنا الإرادة ، وعندئذ يمكننا السيطرة على الحريق الهائل ! كما أنه بارادتنا التهب هكذا بارادتنا يجب اخماده ! ... إذاً لتكن لنا الإرادة . ولكن كيف تتولد هذه الإرادة ؟ إن أدركنا بطلان الغنى وعدم نفعه ، وعرفنا أنه لا يرحل معنا من ههنا ، بل سيتركنا حتى ونحن بعد هنا . إنه يتراجع وراءنا ، تاركاً إيانا فى جراحات ترافقنا عند رحيلنا . إن أدركنا وجود غنى هناك (فى السماء) إن قورن به غنى هذا العالم يظهر الأخير أكثر حقارة من الروث ، إن أدركنا أنه محفوف بمخاطر لا حد لها ، فمع ما فيه من لذة مؤقتة لكنه مرتبط بالحزن . إن تأملنا غنى الحياة الأبدية الحقيقية نقرر احتقار غنى العالم ، إن تذكرنا أنه لا ينفع شيئاً سواء من مجد أو

صحة أو شيء آخر، بل على العكس يغرق الناس و يدفع بهم إلى الهلاك والدمار (١٤٩) » .

يربط الرسول بين محبة المال والانحراف عن الإيمان ، إذ يقول : « **الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان** » . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « يجتذب الطمع أعينهم إليه ، و يسرق أذهانهم ، ولا يسمح لهم أن ينظروا طريقهم . وذلك كما لو أن إنساناً يسير فى طريق مستقيم غالباً لا يعرفه ، فيعبر على المدينة التى يسرع إليها وتتعب قدماه بطريقة عشوائية إذ يسير بلا هدف هذا هو ما يعمله الطمع (١٥٠) » .

يتحدث **القديس كبريانوس** عن رباطات شهوة الغنى ، إذ يقول : « كيف يقدرون أن يتبعوا المسيح من تثقلوا بأغلال غناهم ؟! أو كيف يقدرون أن يطلبوا السماء و يتسلقون المرتفعات السامية العالية هؤلاء الذين تثقلوا بالشهوات الأرضية ؟! يظنون أنهم يملكون مع أنهم مملوكون ، إنهم عبيد لأرباحهم وليسوا سادة على ما لهم ! (١٥١) » .

ربما يتساءل البعض : لماذا تحسب محبة المال أصل لكل الشرور ، مادمت لا أطلب مال الغير بل ما هو لى ؟ يجيب **العلامة ترتليان** : « يعلن روح الرب بالرسول : محبة المال أصل لكل الشرور » . ليتنا لا نفسر « محبة المال » هذه بكونها مجرد اشتهاء ما للغير ، وإنما محبة ما يبدو أنه ملك لنا ، فإن هذا أيضاً هو ملك للغير ، فإنه ليس شيء ملكاً لنا مادام كل شيء هو الله ، بل حتى أنفسنا هى ملك له (١٥٢) » .

نختم حديثنا عن « محبة الغنى » بقول **القديس اكلينمضس الاسكندرى** : « أفضل الغنى هو الافتقار فى الشهوات (١٥٣) » . لنطلب الغنى الحقيق والأفضل حيث لا يكون فى القلب شهوات بل يكون فى حالة فقر فيها ، ذلك إن كان القلب فى حالة شبع حقيق فى المسيح يسوع مصدر الغنى الحقيق ، كقول الرسول لأهل كورنثوس « إنكم فى كل شيء استغنيتم فيه » (١ كو ١ : ٥) .

يقدم لنا الرسول بولس الجانب الإيجابى للهروب من محبة الغنى الزمنى بطلب الغنى فيما للمسيح ، بل الغنى فى المسيح نفسه ، إذ يقول : « **وأما أنت يا إنسان الله فأهرب من هذا . وأتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة** » **(ع ١١)** .

إنه إذ يريد تحريرنا من محبة الغنى الزمنى يذكرنا بمركزنا الحقيق ، قائلاً : « يا إنسان

الله » فإن رجل الله يطلب غناه فيا هو لله لا فيا هو زمنى وزائل . يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « يا له من لقب عظيم الكرامة ! إننا جميعاً نحسب كأناس الله ، لكن البار على وجه الخصوص هو « إنسان الله » ... إن كنت إنسان الله فلا تطلب الأمور الكمالية التى لا تقودك لله ، بل « إهرب من هذا واتبع البر» لا تكن طماعاً ، بل اتبع « التقوى » أى سلامة التعليم ، والإيمان الذى هو ضد المباحثات ، والمحبة ، والصبر ، والوداعة (١٥٣) » .

هكذا يعالج الرسول الطمع بكل وسيلة إيجابية وسلبية ، فبعد أن أبرزه كأصل لكل الشرور وعلة للانحراف الإيمانى كما السلوكى أبرز مركز المؤمن كإنسان الله تعلو نفسه فوق الزمنيات المؤقتة ليطلب الأحضان الأبوية الأبدية . فإنه لن يقدر أن يهرب من الطمع مادامت نظرته ملتصقة بالسفليات وقلبه يزحف على الأرض ، أما إن أدرك مركزه يرتفع قلبه إلى حيث كنزه فى حضن الآب . هذا والهروب من الطمع ومحبة الزمنيات ليست خسارة أو فقدان بل هى حالة امتلاء وشبع من المسيح يسوع نفسه بكونه « البر» الحقيقى ، والحب الإلهى إلخ ... ففيه تختبر النفس حياة التقوى لتعيش فى غنى داخلى خلال القناعة ، ولا تشعر بالعوز إلى شىء ... إذاً عوض محبة الزمنيات ننعم بالحياة الجديدة فى المسيح يسوع بواسطة روحه القدوس ، لندخل إلى حضن الآب .

هذه الحياة الغنية والجديدة ، التى ترفعنا فوق الزمنيات تتطلب فى المؤمن الجهاد المستمر والتمسك بالوعود الأبدية وإعلان اعترافنا أو شهادتنا الإيمانية أمام الجميع ، إذ يكمل الرسول : **« جاهد جهاد الإيمان الحسن ، وأمسك بالحياة الأبدية التى إليها دعيت أيضاً ، واعترفت الأعتراف الحسن أمام شهود كثيرين »** (ع ١٢) . هكذا ينتقل الرسول بولس من حديثه عن محبة المال أو الطمع الذى يأسر محبو الغنى إلى ما هو أعمق ، أى الدخول فى آلام الجهاد ، فلا يقف المؤمن عن عدم اشتهائه الزمنيات وإنما يتقبل الآلام من أجل المكافأة السماوية الموعود بها . إنه يضع أمامه الجعالة العليا التى هى الحياة الأبدية المدعو إليها حتى يقدر أن يجاهد جهاد الإيمان الحسن و يعترف الاعتراف المستقيم عملياً أمام شهود كثيرين . بهذا نكون كالمشتركين فى مباريات الألعاب الرياضية الذين من أجل نوالهم المكافأة يحرمون أنفسهم من الكثير من الملذات الجسدية لتهيئة أجسادهم وتدريبها على الألعاب .

هذه الوصية الخاصة بالجهاد الإيمانى الحسن أمام الشهود لا تخص الشعب وحده وإنما أيضاً يلتزم بها الراعى نفسه ، إذ يقول له الرسول : « **أوصيك أمام الله الذى يحى الكل والمسيح يسوع الذى شهد لدى بيلاطس البنطى بالاعتراف الحسن أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح » (ع ١٣ ، ١٤) .**

إذ وصية هى خطيرة يشهد عليه الله الآب وإبنه الوحيد يسوع المسيح لكى يحفظها بلا دنس حتى النهاية ، أى حتى المجىء الأخير، إلى ملاقاة السيد نفسه .

يوصيه لا بعدم الطمع فحسب وإنما باحتمال الآلام أيضاً ، مشهداً عليه الله الآب واهب الحياة ومعطى القيامة من الأموات ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « هنا يقدم له تعزية وسط المخاطر التى تنتظره ، مذكراً إياه بالقيامة التى تعمل فيه (١٥٤) » .

يشهده أيضاً أمام السيد المسيح الذى قدم نفسه مثالاً لنا فى الشهادة الحقة أمام بيلاطس البنطى . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « تنبع الوصية عن مثال السيد ، فيلزمكم أن تعملوا ما فعله السيد . لهذا السبب أشهد المسيح حتى نتبع خطواته (١ بط ٢ : ٢١) . يقول « الاعتراف الحسن » ، متحدثاً مع تلميذه تيموثاوس ما قاله أيضاً فى رسالته إلى العبرانيين : « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى ، فجلس عن يمين عرش الله . فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا فى أذهانكم (نفوسكم) (عب ١٣ : ٢ ، ٣) . وكأنه يقول : لا تخف الموت مادمت خادم الله واهب الحياة . ولكن أى اعتراف حسن يشير إليه الرسول ؟ ذاك الذى صنعه عندما سأله بيلاطس : أفأنت إذاً ملك ؟ (يو ١٨ : ٣٧) قال : « لهذا قد ولدت » ، كما قال : « ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق . انظروا إنه يسمع لى » . ربما قصد الرسول هذه الشهادة ، أو قصد ما حدث عندما سأله : « أفأنت إبن الله ؟ » فأجاب : « أنت تقول » (لو ٢٢ : ٧٠) ، وشهادات أخرى كثيرة واعترافات قدمها (١٥٥) » .

هذه الشهادة التى قدمها السيد المسيح أمام بيلاطس بقوة هى التى تدفع المؤمن - كاهناً أو من الشعب - لحفظ الوصية ، سواء من جهة التعليم أو السلوك ، شاهداً للحق سواء من جهة العقيدة الإيمانية أو العمل الروحى . هذه الشهادة التى يعلنها المؤمن هنا تتجلى عند ظهور السيد المسيح ، إذ يقول الرسول : « الذى سيبينه فى أوقاته ، المبارك

العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب » (ع ١٥) . فى الوقت المناسب يعلنه رب المجد ، المبارك أى الذى نقدم له تسبحة البركة بكونه واهب البركات ، والعزيز أى صاحب العزة والقوة والسلطان ، ملك الملوك ورب الأرباب . إنه صاحب السلطان الذى لا يعلو عليه سلطان ، فإن كان يسمح لنا هنا بالآلام ذلك ليس عن ضعف وإنما كطريق لدخولنا معه إلى أمجاده .

« الذى وحده له عدم الموت ، ساكناً فى نور لا يُدنى منه ، الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه ، الذى له الكرامة والقدرة الأبدية . أمين » (ع ١٦) .

مرة أخرى إذ قدم لنا السيد نفسه كمثال للشهادة الحسنة فدخل إلى الآلام ليس عن عجز أو ضعف إذ هو ملك الملوك ورب الأرباب ، الذى وحده لا يقدر الموت أن يغلبه ، ولا الظلمة أن تقترب إليه ، إذ هو وحده له عدم الموت وساكن فى نور لا يدنى منه ، بل هو فوق كل الإدراكات لم يره أحد قط فى جوهره ولا يقدر أن يراه ... هذا الإله يحمل اعترافاً حسناً أمام بيلاطس الضعيف ، فكيف يخاف المؤمن من الشهادة الحسنة ؟! لقد شهد بالحق حتى يسندنا فنشهد نحن للحق خلال اتحادنا به . بهذا نقدم له الكرامة والقدرة الأبدية ، حينما نحمل اعترافه الحسن وتظهر سماته فينا .

ولعل الرسول فى وصفه للسيد أنه له وحده عدم الموت وأنه ساكن فى نور لا يدنى منه إلخ ... أراد أن يكشف عن شخص ذاك الذى ننعم به خلال شهادتنا الحسنة معه وبه ولحسابه . فإن كنا بالشهادة الحسنة نتقبل الألم حتى الموت ، إنما لكى ننعم بذاك الذى له وحده عدم الموت ، وندخل فيه حيث النور الذى لا يدنى منه . وكما يقول **القديس أكليمنضس الاسكندرى** : « ماذا يطلب الإنسان بعد أن ينال النور الذى لا يدنى منه ؟! (١٥٦) » .

ولئلا يفهم حديثه السابق أنه هجوم ضد الغنى والأغنياء ، قدم الرسول وصايا للأغنياء المؤمنين ، إذ يقول :

« أوصِ الأغنياء فى الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ، ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى ، بل على الله الحى الذى يمنحنا كل شىء بغنى للتمتع ، وأن يصنعوا صلاحاً وأن يكونوا أغنياء فى أعمال صالحة ، وأن يكونوا أسخياء فى العطاء ، كرماء فى التوزيع ، مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً لكى يمسكوا بالحياة الأبدية » (ع ١٧ - ١٩).

يمكننا تلخيص الوصايا السابقة فى النقاط التالية :

أ - عدم الاستكبار : يوصى أغنياء هذا الدهر ألا يستكبروا ، مميزاً بين أغنياء الدهر الحاضر وأغنياء الدهر الآتى . فهو مطمئن من جهة الآخرين أنهم متضعون إذ هم أغنياء بالسيد المسيح واهب الاتضاع ، لكنه يخشى على أغنياء الدهر الحاضر من الكبرياء ، حيث يسحبهم المال إلى الاعتداد بالذات . هذه هى أولى ضربات الأغنياء ، إذ يتكلون على أموالهم ، حاسبين أنهم قادرون على فعل كل شىء بالمال ، فيسقطون فى الكبرياء .

لقد تمتعت القديسة مريم بغنى الدهر الآتى فى إتضاع عجيب حيث صار لها مسيحها هو كنزها الحق ، فى أحشائها الجسدية والروحية ... وكما يقول **القديس أغسطينوس** أن السيد المسيح المتضع لن يعلم أمه الكبرياء . إذاً لنحمل مسيحنا فى داخلنا كما فعلت القديسة مريم فيهبنا الغنى الحق دون كبرياء !

ب - يحذرهم من الاعتماد على ثروتهم ، مؤكداً ضرورة وضع الرجاء كله فى الله لا المال .

ج - الغنى الحق هو التمتع بالأمور التى لا تفنى ، لذا يليق بهم إن أرادوا أن يكونوا أغنياء ، فليمارسوا أعمال الحب التى يبقى رصيدها سر غناهم الأبدى .

د - السخاء فى العطاء ، فالغنى وزنة مقدمة لهم لا لإكتنازها بل لإضرامها بالعطاء المستمر ، حتى يتحول الكنز من الأرض إلى السماء . وقد سبق لنا عرض الكثير من أقوال الآباء فى العطاء (١٥٧) .

٤ - وصايا ختامية :

« يا تيموثاوس إحفظ الوديعة ،
معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ،
ومخالفات العلم الكاذب الإسم ،
الذى إذا تظاهر به قوم زاغوا من جهة الإيمان
النعمة معك . آمين » (ع ٢٠ - ٢٢) .

يختم الرسول حديثه مع تلميذه مطالباً إياه بحفظ الوديعة ، الإيمان الحى التى سُلمت مرة للقديسين . هذه الوديعة التى ندعوها « التقليد » أو « التسليم الرسولى » .

أما علامة اهتمامنا بحفظ الوديعة فهو الإعراض عن الكلام الباطل الدنس ، أى المباحثات الغبية تحت إسم « العلم » أو « المعرفة » ، (الغنوسية) ، فيتحول الإيمان الحى إلى تعبيرات وألفاظ لغوية بلا حياة أو خبرة ، هذا الذى يفقد الإنسان حياته . ولعله قصد بذلك الغنوسيين الذين كما سبق فقلنا – استبدلوا الإيمان بالمعرفة ، فسقطوا فى العلم الكاذب .

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : « حسناً يدعوها الرسول هكذا « العلم الكاذب الإسم » ، فإنه حيث لا يوجد الإيمان لا توجد المعرفة (الحقة) (١٥٨) » .

□

الملاحظات

الرسائل الرعوية :

١ – أول من استخدم هذه التعبير « الرسائل الرعوية » هو: D. N. Berdot ، عام ١٧٠٣م ، وإن كان Paul Anton هوالذى أعطاه شهرته عام ١٧٢٦ م .

2 - H. E. 3 : 3 : 5.
3 - Ep. to Corinth. 2 : 4.
4 - Ad Autol. 3 : 14.
5 - Adv. Haer.
6 - De Praescript 25.
7 - Strom. 2 : 31.

٨ – أول من بدأ فى التشكك هو J. E. Schmidt عام ١٨٠٤ م، تبعه Schleiermacher ، فدرسة توبنجن Tubingen . وقد قام فريق كبير من الدارسين يدافعون عن أصالتها ونسبتها للرسول منهم Zahn, Weiss Godet, Barth...

9 - H. E. 2 : 22 .
10 - L. E. Berkhof : N. T. Introduction, 1915, p 239.
11 - N. J. White : Exp. Greek. Testamant, 6, p 63.

١٢ – المؤلف : آباء مدرسة الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ٧ ، ٨ .

مقدمة فى الرسالة الأولى إلى تيموثاوس

13 - J. L. Mckenzie : Dict. of the Bible, 1972, p 892.
14 - The Jerome Biblical Comm., 1970, vol. 2, p 350.

الأصحاح الأول :

15 - In 1 Tim., hom 1 .
16 - On Christian Faith 3 : 12 .
17 - Ibid .

١٨ – للمؤلف : القديس يوحنا الذهبي الفم ، ١٩٨٠ ، ص ١٧ .

19 - In 1 Tim.. hom 1 .
20 - Ad. Eph.
21 - In 1 Tim., hom 1 .
22 - Pulpet Comm, v. 21, p 2 .

23 - In 1 Tim., hom 1 .
24 - Adv. Haer. lib. 1 .
25 - Adv. Valentin 3 .

٢٦ – راجع فى هذا الكتاب المقدمة عن الرسائل الرعوية (المرطقات المعاصرة : ٤) .

26 - Adv. Haer. 1 : 1 .
27 - In 1 Tim., hom 1 .

٢٨ – للمؤلف : آباء مدرسة اسكندرية الأولون ، ١٩٨٠ ، ص ١٤ ، ١٥ .

29 - In 1 Tim., hom 2 .
30 - Ibid .
31 - In Joan. tr. 87 : 1 .
32 - In 1 Tim., hom 2 .
33 - On ps. 6 .
34 - In 1 Tim., hom 2 .
35 - Ibid .
36 - Ibid .
37 - cf. Duties of Clergy 3 : 5 .
38 - In Ps. 85 .
39 - In Joan. tr. 3 : 10 .
40 - In Tim., hom 3 .
41 - Ibid .
42 - Ibid, hom 4 .
43 - Ibid .
44 - Ibid .
45 - Ibid, hom 5 .
46 - Ibid .

٤٧ – للمؤلف : الحب الرعوى ، ص ٧٠٠ .

48 - In 1 Tim., hom 5.
49 - Ibid .
50 - De Fuga in Persecutione 2 .
51 - In ps., hom 34 .

الأصحاح الثانى :

٥٢ – مناظرات يوحنا كاسيان ، مناظرة ٩ .

53 - On prayer 14 : 2 - 5 .
54 - In 1 Tim., hom 6 .
55 - Ibid , 7 .
56 - Ibid .
57 - Ibid .
58 - Ibid .

٥٩ – راجع المقدمة : الهرطقات المعاصرة (رقم ٣) .

60 - Adv. Eunomius 2 : 12 .
61 - Ibid . 3 : 4 .
62 - On Trinity 3 : 11, 4 : 8 .
63 - In Joan tr. 41 : 5, 47 : 3 .
64 - In Ps. 105 .
65 - Adv. Haer 5 : 17 : 1 .

66 - On the Resur. of the Flesh 63 .

67 - Ibid 51 .

68 - Adv. Eunom. 2 : 8 .

69 - In Joan. 66 : 2 .

70 - In 1 Tim., hom 7

71 - Ibid 8 .

72 - On Ps. 21 .

73 - On prayer 8 .

74 - Ibid .

75 - In 1 Tim., hom 8 .

76 - Ibid, Roger Gryson : The ministry of Women in the Early church, minnesota, 1976, p. 128 .

77 - De praescriptione 41 : 5 .

78 - De Resurr. Carnis 11 : 2; De Exhort. Castitalis 10 : 5 .

79 - On Veiling of Virgins 9 : 1 .

80 - Adv. Mare. 5 : 8 : 11; De Anima 9 : 4 .

الأصحاح الثالث :

81 - In 1 Tim., hom 10 .

كلمة « ابسكوبوس » أو « أسقف » فى اليونانية تعنى « ناظر » .

82 - De Sacr. 3 : 10 : 11 .

يمكن دراسة هذه الشهرة للسلطة فى كتاب « الكهنوت المسيحى » للقديس ، ك ٣ ، ف ١٠ - ١٢ (ترجمة كنيسة السيدة العذراء بالفجالة سنة ١٩٧٤) .

83 - In 1 Tim., hom 10 .

٨٤ - الحب الرعوى : ١٩٦٥ ، ص ٦٥٦ .

٨٥ - راجع التفسير الرمزى لهذه العيوب فى كتاب الأب غر يغور يوس عن الرعاية ، أو كتابنا : الحب الرعوى ص ٦٥٧ - ٦٦٢ .

86 - In 1 Tim., hom 10 .

87 - Ibid .

٨٨ - الحب الرعوى ، ص ٧٢٧ - ٧٥٩ .

٨٩ - المرجع السابق ، ص ٦٦٣ - ٦٦٨ .

90 - In 1 Tim., hom 10 .

٩١ - الدسقولية ، باب ٣ .

٩٢ -الحب الرعوى ، ص ٦٦٨ .

93 - In 1 Tim., hom 10 .
94 - Ibid .
٩٥ - الحب الرعوى ، ص ٦٥٥ .
96 - In 1 Tim., hom 11 .
97 - Ibid .
98 - Ibid .
99 - On Ps. 46 .
100 - In 1 Tim., hom 11 .

الأصحاح الرابع :

101 - In Joan. tr 9 : 2 .
102 - In 1 Tim., hom 12 .
103 - Ibid .
١٠٤ - الإيمان والرجاء والمحبة ١٢ .
105 - In 1 Tim., hom 12 .
106 - Ibid .
107 - Ibid 13 .
108 - Ibid .

الأصحاح الخامس :

١٠٩ - الحب الرعوى ص ٧٣٦ ، ٧٣٧ .
110 - IN 1 Tim., hom 13 .
111 - Ibid .
١١٢ - للمؤلف : رسالة تعزية من ذهبي الفم إلى أرملة شابة ، ص ٥ .
113 - Ep. to Polyc. 4 : 1 .
114 - Ep. to Phil. 6 : 1 .
115 - 1 Apol. 67 : 6 .
116 - Sheph. 56 : 7 .
117 - In 1 Tim., hom 13 .
118 - Ibid .
119 - Ibid 14 .
120 - Ibid .
121 - IN Ps. 132 .
122 - The Ministry of Women in the Early Church, 1976, p 25.
123 - Paed. 3, 12, 97, 1 .

وراجع أيضاً العلامة أوريجانوس فى الصلاة ٢٨ : ٤ ، عظات على لوقا ١٧ ، وتعليقات على متى ٤ : ٢٢ .

124 - In 1 Tim., hom 14 .
١٢٥ - رسالة تعزية ص ١١ ، ١٢ .
126 - Conc. Widws 2 .
127 - Ibid .

128 - In 1 Tim., hom 14 .

129 - Ibid .

130 - Comm. on John 32 : 12 .

132 - In 1 Tim., hom 14 .

١٣٤ - رسالة تعزية ص ١٤ .

135 - In Joan. tr. 62 : 5 .

136 - In 1 Tim., hom 15 .

١٣٧ - الحب الرعوى ، ص ٢٣٢ .

139 - Instru. 2 : 2 .

140 - In 1 Tim., hom 16 .

الأصحاح السادس :

141 - Duties of the clergy 2 : 17 .

142 - In 1 Tim., hom 16 .

143 - Ibid .

144 - Ibid .

145 - Ibid, 17 .

146 - Ibid .

147 - Ep. 39 : 6 .

148 - In 1 Tim., hom 17 .

149 - Ibid .

150 - Ibid .

151 - Treat. on the lapsed 12 .

152 - On Patience 7 .

153 - In 1 Tim., hom 17 .

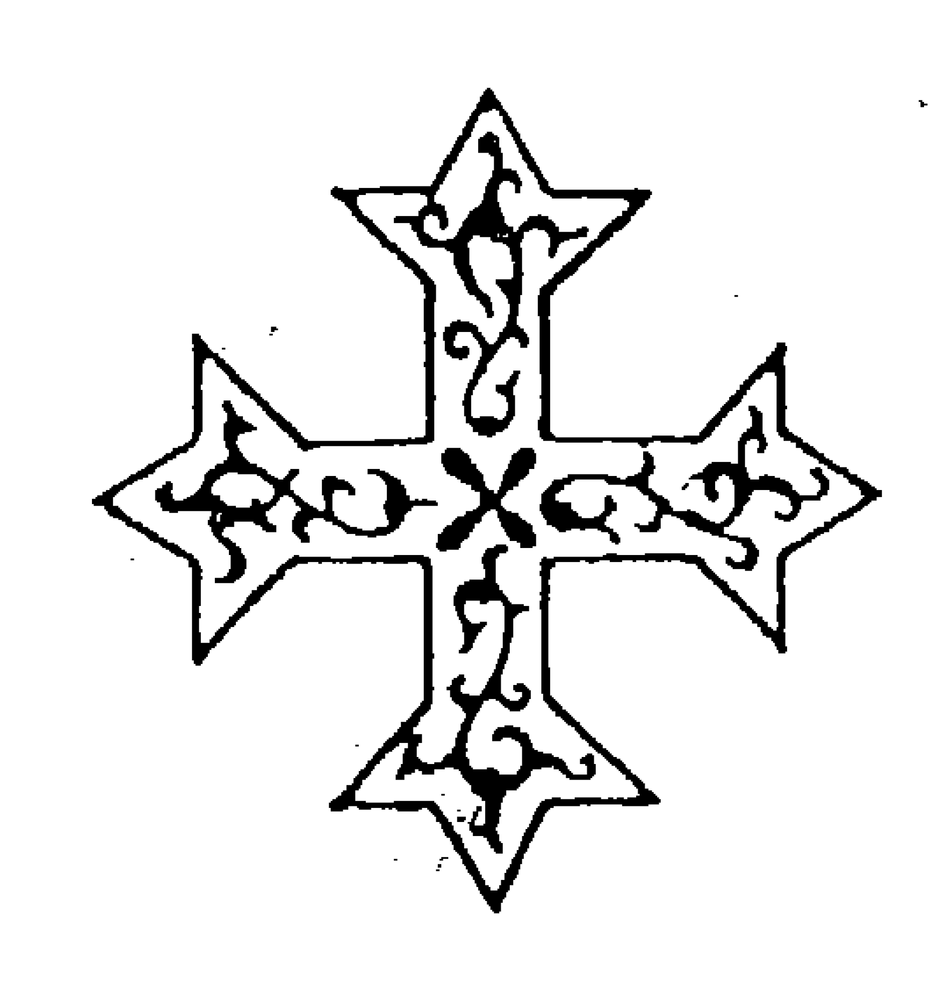
154 - Ibid 18 .

155 - Ibid .

156 - Stromata .

١٥٧ - الحب الأخوى : العطاء .

158 - In 1 Tim., hom 20 .



صدر عن هذه السلسلة

العهد الجديد:

١- متى
٢- مرقس
٣- لوقا
٤- رومية
٥- أفسس
٦-تسالونيكى الأولى
٧- تسالونيكى الثانية
٨- تيموثاوس الأولى
٩- تيموثاوس الثانية
١٠- تيطس
١١- فليمون
١٢- العبرانيين
١٣- يعقوب
١٤- بطرس الأولى
١٥- بطرس الثانية
١٦- رسائل يوحنا الرسول
١٧- رسال يهوذا
١٨- رؤيا يوحنا اللاهوتى

أسفار العهد القديم:

١- التكوين
٢- الخروج
٣- اللاويين
٤- العدد
٥- يشوع
٦- القضاة
٧- راعوث
٨- صموئيل الأول
٩- صموئيل الثانى
١٠- أستير
١١- المزامير
١٢- أشعياء
١٣- حزقيال
١٤- نشيد الأناشيد
١٥- هوشع
١٦- يوئيل
١٧- عاموس
١٨- عوبديا
١٩- يونان النبى
٢٠- ناحوم
٢١- حبقوق
٢٢- حجى
٢٣- زكريا
٢٤- ملاخى
٢٥- الجامعة

يطلب من:

كنيسة مارجرجس أسبورتنج ـ الإبراهيمية ـ الإسكندرية.
كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس ـ سيدى بشر ـ الإسكندرية.
مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس ـ العباسية ـ القاهرة.

الثمن ١٥٠ قرشاً